

طرق توليد الأفكار



احصل على أفكار أكثر في وقت أقل



إسحق روبليدو
ترجمة: لبنى بورحيمة

طرق توليد الأفكار

احصل على أفكار أكثر
في وقت أقل

طرق توليد الأفكار

احصل على أفكار أكثر
في وقت أقل

إسحق روبليدو

ترجمة: لبنى بورحيمة



IDEA HACKS

COME UP WITH 10X MORE

CDREATIVE IDEAS IN 1/2 THE TIME

I. C. ROBLEDO

طرق توليد الأفكار

احصل على أفكار أكثر في وقت أقل

تأليف: إسحق روبليدو

ترجمة: لبنى بورحيمة

موافقة «**المجلس الوطني للإعلام**» في دولة الإمارات العربية المتحدة

رقم: MC-02- 01-8768876 تاريخ 2018/10/10

ISBN: 978 - 9948 - 38 - 009 - 2



Qindeel | قنديل

للطباعة والنشر والتوزيع

Printing, publishing & Distribution

ص.ب: 47417 شارع الشيخ زايد

دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني: info@qindeel.ae

الموقع الإلكتروني: www.qindeel.ae

الطبعة الأولى: كانون الأول / ديسمبر 2018 م – 1440 هـ

المحتويات

تنبيه

بذل المؤلف والناشر جهداً كبيراً لكي تكون المعلومات الواردة في هذا الكتاب صحيحة ودقيقة، وهما لا يتحملان مسؤولية أي ضرر أو خسارة تلحق بأي شخص بسبب سوء استخدامه لما ورد في الكتاب.

كذلك، فإن هذا الكتاب لا يغني عن طلب المشورة الطبية لمن يحتاج إليها. يجب على كل شخص أن يزور الطبيب بانتظام ليطمئن على صحته، ولا سيَّما من يشكو أعراضاً تحتاج إلى تشخيص وعناية طبية.

الآراء الواردة في الكتاب تمثل وجهة نظر المؤلف وحده، ولا ينبغي أن تؤخذ على أنها أوامر واجبة التنفيذ. القارئ وحده يتحمل مسؤولية أي تصرف يقوم به.

مقدمة

منـذ فجـر البشـرية والإسـهامات الفكريـة متعـددة المشـارب تتدفـق بإبداعاتهـا ومكنونـات عقولهـا لتعطـي للإنسـانية محصلـة تجـارب معرفيـة غصـت بهـا المكتبـات، تاركـة لنـا خزينـة علميـة تجعـل القـارئ يطـرح على نفسه سؤالاً لعـل كثيراً مـن محبي القـراءة وعشـاق الكتب سـألوه أنفسـهم، وهـو: كيـف حظـي هـؤلاء المبدعـون بهـذا الكـم الهائل مـن الأفـكار؟ وهـل الفكـر المسـتنير والطـرح ذو الرؤيـة أمـر وراثـي يخلـق مـع الإنسـان، أم هـو جهـد مكتسـب بمقـدور أي أحـد تحصيلـه بطـرق معيَّنـة يسـتفيده منهـا؟

يـرى إسـحق روبليـدو مـن خـلال هـذا الكتـاب أن الإبـداع الفكـري لـه طـرق يمكـن أن يكتسـب مـن خلالهـا، وهـو بذلـك يضـع خلاصـة مـا وصـل إليـه مـن أسـاليب يمكـن أن يتخذهـا القـارئ دربـة لـه فـي توليـد أفـكار إبداعيـة. وهـو يقسـم النـاس إلـى أشـخاص يحتاجـون إلـى حافـز يلهمهـم الإبـداع ويثيـر فيهـم الدافعيـة نحـو تدفـق أفـكار جديـدة؛ وهنـا يبيـن أن هـذا الحافـز قـد يكـون وجهـاً جميـلاً أو حدثـاً ملهمـاً أو منظـراً سـاحراً أو أي شـيء آخـر.. أمـا المبدعـون الحقيقيـون فـإن لهـم طرقـاً خاصـة يُحفـزون بهـا أنفسـهم؛ فهـم يُبدعـون، سـواء وجـدوا الحافـز أم لـم يجـدوه، حتـى صـار الإبـداع صفـة لازمـة لهـم، وهـذه هـي قمـة الإبـداع التـي قلمـا يصـل إليهـا أحـد.

انطلاقاً من هذا فإن الكتاب يعطي القارئ أرضية يمكنه بناء أفكاره عليها، ويستخلص من خلالها ثمار أغلى ما يملكه الإنسان، وهو العقل؛ فطرق توليد الأفكار هي أدوات فعالة تأخذ بيد من التزم بها من الإتيان بأفكار جديدة في أي وقت، وقد صُممت لأولئك الذين يفضلون الاعتماد على أنفسهم، بدلاً من الجلوس في انتظار إلهام خارجي.

إن كلمة «مبدع»، ليست بعيدة المنال عنا، فمن خلال تصفحنا لأوراق هذا الكتاب سنجد أننا كنا مخطئين في فهم هذه الكلمة، بحيث إننا نحسب أن الإبداع حكر على فئة قليلة من الناس ارتقت في برجها العاجي ولا يمكن لأحد أن يصل إلى ما وصلوا إليه. ولكن الحقيقة الرائعة التي سيجنيها قارئنا الكريم في جولته المعرفية هنا أن الإبداع قريب منا إن نحن سلكنا سبله الموصلة إليه؛ فالعقل هبة الله للناس جميعاً، فإن لم يصل الإنسان إلى الفكر المستنير والمبدع بالموهبة، فالفرصة أمامه ليسلك الطرق الموصلة إلى أوفى نصيب مما اختزنته كلمة «الإبداع».

جمال بن حويرب

المدير التنفيذي

لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

ما «طرق توليد الأفكار»؟

طرق توليد الأفكار هي طرق تساعدك على الإتيان بأفكار مبدعة بأقل جهد ممكن. فلقد جربت أنا نفسي صعوبة أن آتي بأفكار جديدة، وهذا ما جعلني أضع طرقاً تساعدني على التغلب على هذه المشكلة. باستخدام هذه الطرق، ستتمكن من الإتيان بأفكار جديدة، حتى لو كان ذهنك مجهداً وعاجزاً عن التفكير. وحتى لو شعرت يوماً بالملل، أو كنت حبيس المنزل ولا تجد ما يُلهمك، فسيكون في مقدورك أن تأتي بالأفكار بكل سهولة.

الفقرة السابقة مقدمة مختصرة عن طرق توليد الأفكار، وتوجد نقاط أخرى مهمة ينبغي أن أذكرها قبل أن أبدأ بالحديث عن الطرق وكيفية استخدامها. سأخبرك أولاً بكل ما يجب عليك أن تعرفه لكي تحصل على أفضل النتائج.

أما إن كنت متحمساً للبدء فوراً بتطبيق طرق توليد الأفكار، فيمكنك أن تذهب مباشرة إلى صفحة 107، ولكن احرص بعدها على قراءة القسم الأول من الكتاب لأنه ذو أهمية بالغة.

كذلك، ففي نهاية الكتاب أكثر من 100 تمرين لتحفيز الإبداع، يمكنك أن تجربها متى شئت.

لماذا وضعتُ طرق توليد الأفكار؟

يحتاج كثيرٌ من الناس - لكي يُبدعوا - إلى حافز يحفزهم إلى الإبداع. الحافز هو كل ما يُلهمك فكرة جديدة. قد يكون الحافز وجهاً جميلاً، أو حدثاً ملهماً، أو منظراً ساحراً، أو أي شيء آخر. أما المبدعون الحقيقيون فإن لهم طرقاً خاصة يُحفزون بها أنفسهم. فهم يُبدعون، سواء وجدوا الحافز أم لم يجدوه، حتى صار الإبداع صفة لازمة لهم. فهم يأتون بالأفكار متى شاؤوا، وهذه أعلى مراحل الإبداع التي لا يصل إليها إلا قلةٌ من الناس.

ولنا هنا أن نتساءل: لماذا يحتاج أكثرُنا إلى حافز لكي يُبْدِع؟ ماذا لو استطعنا أن نكون كأولئك المبدعين الذين يجدون حوافز الإبداع في داخلهم، فلا يحتاجون إلى محفز خارجي ليبدعوا؟ هذا السؤال وغيره هو ما جعلني أُضَمّن هذا الكتاب طرقاً تساعدك على الإتيان بأفكارٍ مبدعةٍ، دون أن تنتظر أي محفزٍ خارجيٍ، وعندها ستشعر بأنك قوي، لأنك لن تحتاج إلى البحث عن الإلهام في منظرٍ ساحر تراه، ولا في تحفةٍ فنيةٍ تتأمَّلُها. كلُّ ما ستحتاجُ إليه سيكون نابعاً من داخلك أنت، وهذا ما ستساعدَك طرق توليد الأفكار على تحقيقه.

طرق توليد الأفكار هي أدوات فعالة تمكنك من الإتيان بأفكار جديدة في أي وقت. وقد صُممت لأولئك الذين يفضلون الاعتماد على أنفسهم، بدلاً من الجلوس في انتظار وحيٍ أو إلهام. إن كنت تريد أن تحفز نفسك بنفسك لتأتي بشيءٍ جديد، فما عليك سوى أن تقرأ هذا الكتاب.

الإبداع للجميع
لي ولك ولكل الناس

يخطئ كثيرون في فهم كلمة «مبدع». فكلما أُثير موضوع الإبداع، أرى في كثير من الناس بعضاً من التردد وأحياناً الخوف. وغالباً ما أستنتج أن الناس يظنون أن الإبداع حكرٌ على البعض منهم فقط، على أولئك الذين منحهم الله موهبةً من عنده، وأن المبدعين هم الفنانون والكتاب والمخترعون والعباقرة والأغنياء.

وتشيع بين الناس فكرة تقول إنك لن تبدع إلا إذا توفرت فيك سمات معينة. فتسمع من يقول لك: «لن تبدع إلا إذا كنت تملك مالاً» أو «لن تبدع إلا إذا كنت تنحدر من عائلة موهوبة» ومقولات أخرى كثيرة تجعلنا نظن أن الإبداع ليس من حقنا. هذه الطريقة في التفكير هي في الواقع خطأ فادح.

فالإبداع ـ في حقيقته ـ ملكة وهبها اللهُ لجميعَ خلقه، ملكة وهبها اللهُ لي ولك، وللناس جميعاً؛ فسواءٌ مديراً كنت أو عاملاً بسيطاً، أو كانت مهنتك تتطلب إبداعاً أو لا تتطلب إبداعاً؛ وسواءٌ أكنت ترجع بأصولك إلى عائلة موهوبة أو إلى عائلة غير موهوبة، فثق بأن الإبداع ملكة وهبها الله لك، وثق بأنك قادر على أن تكون مبدعاً في عملك، ومبدعاً مع عائلتك، ومبدعاً وأنت تمارس هواياتك، ومبدعاً وأنت تحل مشكلاتك، ومبدعاً في أمور أخرى كثيرة.

وإن قلت لي: «أنت لا تعرفني حق المعرفة، فأنا لا أحسن الإبداع،

لقد حاولت ذلك مراراً»، فسأطلب منك أن تعطيني فرصة لمساعدتك. عليك فقط أن تقرأ هذا الكتاب وتُجرب الطرق التي أعرضها فيه. لن تخسر شيئاً إن جربت، بل قد تربح إن أنت جربت الطرق، ونجحت في اكتشاف ذاتك المبدعة. وأياً كانت وظيفتك أو درجة تعليمك أو فكرتك الحالية عن معنى الإبداع، فإن هذا الكتاب سيساعدك على أن تأتي بأفكار جديدة لا حصر لها.

الصبي الذي طوَّع الرياح

إليك هذا المثال المذهل لشخص لم يدع العقبات تقف في طريقه إلى الإبداع. هو صبي إفريقي من ملاوي، اسمه وليام كامكوامبا، ربما هذه هي المرة الأولى التي تسمع فيها باسمه.

كان وليام في صباه حريصاً على الذهاب إلى المدرسة لتحصيل العلم. لكنه ما إن وصل إلى الصف التاسع حتى أُكرِهَ على ترك الدراسة، لأنه لم يكن يملك 80 دولاراً لدفع الرسم السنوي. غير أن هذا الظرف لم يقطعه عن العلم. فقد ذهب يوماً إلى المكتبة، ووقع نظره على كتاب في الفيزياء يحوي رسومات لطواحين الهواء. وعلى الرغم من أن الكتاب كان باللغة الإنكليزية التي لا يفهمها وليام، فإنه كان عازماً على أن يتعلم كيف يصنع طاحونة هواء تُولد الكهرباء لقريته الصغيرة.

وبإصرار عجيب، قام وليام بصنع طاحونة هواء فريدة من نوعها، فقد صنعها من بقايا أسلاك ومحور دراجة هوائية قديمة وأنابيب بلاستيكية. وبلا أي مواد صنع حقيقية، أو تعليم أساسي، أو توجيه أو مساعدة، وعلى الرغم من فقره المدقع، نجح وليام في صنع طاحونة هواء قادرة على إنارة بعض المصابيح الكهربائية وشحن الهواتف النقالة وتشغيل مضخة مياه توفر الماء لبيته وللقرية الصغيرة. قد يرى كثيرون أن هذه أمور بسيطة توجد في كل بيت، غير أنها أحدثت تغييراً كبيراً في حياة سكان القرية، والفضل يعود لإبداع وليام وإصراره[1].

---

(1) تجد تفاصيل قصة وليام كامكوامبا بالكامل في كتاب:
The Boy Who harnessed the Wind

العبـرة مـن هـذه القصـة هـي أن هـذا الصبـي اسـتطاع أن يُبـدع ليحـدث تغييـراً كبيـراً فـي القريـة وفـي حيـاة عائلتـه بـلا أي إمكانـات حقيقيـة. ولقـد سـمعت قصصـاً كثيـرة مشـابهة لقصتـه، قصصـاً عـن أشـخاص جـاؤوا بحلـول مبتكـرة لمشـكلات كان حلهـا مسـتحيلاً. ليـس ضروريـاً أن تكـون الظـروف مواتيـة لـك لتبـدع، فثمـة أشـخاص لا يثنيهـم شـح المـوارد عـن المضـي إلـى غايتهـم.

وأعـود فأقـول: إن هـذا الكتـاب سيسـاعدك علـى الإبـداع، سـواء توفـرت لديـك المـواد الأساسـية للعمـل وسـعة الوقـت والأمـوال أم لـم تتوفـر. وليـام كامكوامبـا هـو خيـر دليـل علـى أنـك لا تحتـاج إلـى البيئـة المثاليـة أو الثـراء لتبـدع. يكفـي أن تكـون لديـك الرغبـة لتبـدأ.

قـد تقـول إن وليـام كامكوامبـا هـو حالـة خاصـة، ولـن يتمكـن أكثرنـا مـن أن يقـوم بمـا قـام بـه. نعـم قـد لا يتسـنى لكثيريـن أن يقومـوا بمـا قـام بـه وليـام، ولكـن هـذا لا يعنـي أننـا لا نملـك ملكـة الإبـداع بداخلنـا، والتـي غالبـاً لا نحسـن اسـتخدامها. فـي هـذا الكتـاب، سـأثبت لكـم أننـا جميعـاً نملـك هـذه الملكـة، وسـأمكنكم مـن تسـخيرها للإتيـان بأفـكار كثيـرة، أكثـر بكثيـر ممـا تتصـورون.

لمن هذا الكتاب؟

لمن يشعر بالإحباط

ربما تكون قد حاولت في الماضي أن تُبدع ولم تفلح. ربما تكون قد قدمت أفكاراً كثيرة لكنك لم تجد إلا السخرية والتثبيط. ربما تود أن تأتي بأفكار جديدة وتتميز في مجال ما لكنك تشعر بأن هذا الحلم بعيد المنال. ربما يكون ذلك بسبب ضيق الوقت، أو لأنك لا تعلم من أين تبدأ، أو لأنك حاولت كثيراً إلى أن يئست وبدأت تفقد الثقة بقدرتك على الإبداع.

لتتغلب على شعور الإحباط هذا عليك أن تأخذ الأمور ببساطة، وتبدأ من جديد في التركيز على الإتيان بأفكار جديدة، وهو ما سيساعدك هذا الكتاب على فعله. في البداية، اجعل هدفك أن تأتي بأكبر قدر ممكن من الأفكار. عندما تنجح في تجميع تلك الأفكار، ستسترد ثقتك بنفسك من جديد، وسيعينك ذلك على البدء في تنفيذ خططك المبدعة.

لمن يلاقي صعوبة في البدء بتنفيذ خططه المبدعة

كل إبداع نبدعه يبدأ بحلم نود تحقيقه. لكن قد تكون معالم حلمك غير واضحة بعد، لذلك لم تتمكن من رؤيته على أرض الواقع حتى الآن. ربما تود أن تقدم شيئاً جديداً، لكنك لا تعلم من أين تبدأ أو من أين تستلهم أفكارك. ولأن البداية صعبة دائماً، خاصة إن لم تكن في ذهنك خطة واضحة، فإنك تضع أحلامك جانباً. وللأسف، مع مرور الأيام، سيكون من السهل عليك أن تنسى تلك الأحلام التي كنت تتوق يوماً إلى تحقيقها.

خطوة البداية قد تكون أصعب خطوة في رحلتك لتحقيق حلمك. فحتى أكثر الناس إبداعاً وجدتُهم يحتاجون إلى موضوع محدد أو اتجاه واضح ليستطيعوا أن يبدعوا. إن طلبت من أحد المبدعين أن يعمل عملاً مبدعاً ـ دون تحديد نوع الإبداع ـ فستُفاجأ بنتائج مخيبةٍ للآمال. فعدم وجود إطار واضح للعمل يجعل المرء في حيرة من أمره. هذا الكتاب سيساعدك على أن تكون أكثر دقة في تحديد ما تريد، لكي تأتي بأفكار تخدم الموضوعات التي تهمك.

لمن يلاقي صعوبة في الإتيان بأفكارٍ بمفرده

قد تشعر أحياناً بأنك بحاجة إلى من يساعدك على الإتيان بأفكارٍ جديدة. ربما تكون قد اعتدت جلسات العصف الذهني في العمل، أو ربما تكون قد اعتدت أن تكلم أحد أصدقائك المبدعين كلما احتجت إلى فكرة جديدة. والمشكلة هنا هي أن الاعتماد على الآخرين في توليد الأفكار قد يجعلك غير مرتاح لأن تنسب تلك الأفكار إليك، لأنك لم تأتِ بها من نفسك.

هذا الكتاب سيقدم لك طرقاً لن تحتاج عند تطبيقها إلى أي شخص يساعدك على الإتيان بالأفكار. وحتى إن كنت تعتمد على جلسات العصف الذهني في توليد الأفكار أو على الآخرين، فإن ما ستتعلمه في هذا الكتاب سيجعلك مهيأً أكثر لأن تقدم أفكارك أنت، وليس ما يساعدك به الآخرون.

لمن يمر بفترة ركود ذهني وعدم قدرة على الإبداع

قد تكون شخصاً مبدعاً حقاً، لك أفكارك المميزة وإنجازاتك في عالم الإبداع، ولكن هذا لا يمنع من أن تكون عرضة لركود الذهن. ربما تكون قد سمعت بحالة انغلاق الذهن التي تعتري الكتاب والفنانين، على سبيل المثال. هذه الحالة قد تحدث لأسباب كثيرة، كأن يكون قد اعتراك فتورٌ من الموضوع الذي بين يديك، أو تكون قد بالغت في اعتمادك على الإلهام، أو تكون قد أجهدت نفسك كثيراً.

أحياناً قد تفقد القدرة على الإبداع تماماً، ربما كنت متحمساً في البداية، إلا أنك لا تلبث أن تشعر بأنك غير قادر على أن تأتي بأفكار تضمن لك استمرار العمل. قد يحدث هذا عندما تواجه تحديات كثيرة لم تخطر لك على بال، فتُشعرك بالحيرة والارتباك. المشكلات المتتالية قد تُفقدك رباطة جأشك، ومن ثم تفتر حماستك رويداً رويداً.

عندما تفقد القدرة على الإبداع، ستشعر بذلك على الفور. هي حالة تجعل ذهنك فارغاً من كل شيء وغير قادر على التركيز. وهذا العجز يشعرك بالخوف من أنك قد لا تستطيع أن تبدع مرة أخرى. وهذا الخوف كفيل بأن يجعلك تتسمر في مكانك، عاجزاً عن أن تأتي بأي فكرة جديدة.

أنت قادرٌ على الإتيان بأفكار جديدة بلا أدنى شك. والطرق التي يضمها هذا الكتاب سترشدك إلى كيفية التعامل مع حالة انغلاق الذهن التي قد تعتريك. أفضل ما يمكنك أن تقوم به في تلك الحالة هو استخدام طريقة من طرق توليد الأفكار، مما سيجعل الأفكار تنهال عليك من جديد. وبعدها ستشعر بأن ذهنك قد تفتح، وأنك مستعد لأن تمضي قدماً، وتستمر في إبداعك.

لمن يريد طريقة مضمونة للإتيان بأفكار جديدة

كثيـرون يسـيئون فهـم مصطلـح «الإبـداع»، حتـى المبدعـون أنفسـهم، كالرسـامين والفنانيـن ومصممـي الأزيـاء، فهـم يظنـون أنهـم بحاجـة إلـى حبيب يلهمهـم أو منظر سـاحر يحـرك مـا فـي داخلهـم ليبدعـوا. غيـر أن هـذه أمـور لا يمكـن الاعتمـاد عليهـا دائمـاً، خاصـة إن احتجـت يومـاً إلـى الإتيـان بأفـكار مبدعـة فـي وقـت ضيـق.

إن كنـت تريـد أن تصبـح مبدعـاً حقـاً، فينبغـي أن تكـون لديـك الطريقـة التـي تجعلـك تبـدع مهمـا كانـت الظـروف. فـي الحقيقـة، ينبغـي أن تكـون لديـك طـرقٌ لا طريقـة واحـدة تسـاعدك فـي شـتى المواقـف المختلفـة. هـذه الطـرق سـتجدها في هـذا الكتـاب، وهـي سـهلة التعلـم والتطبيـق. أقـول لـكل أولئـك الذيـن لا يريـدون شـعارات كاذبـة، بـل يريـدون طرقـاً عمليـة تزيـد مـن قدرتهـم علـى الإبـداع: سـتجدون ضالتكـم فـي هـذا الكتـاب.

وقبل أن تكمل القراءة...

تعبيراً عن امتناني لك لاختيارك قراءة هذا الكتاب، إليك هذا الدليل المجاني:

ارفع من مستوى تعليمك: وسائل مجانية تعلمك كل ما تريد

ألم تبحث في الإنترنت يوماً عن مواقع موثوقة يمكن الاعتماد على المعلومات التي تقدمها؟ إن البحث عن المواقع المفيدة حقاً يتطلب وقتاً وجهداً. لذلك أردت أن أوفر عليك الوقت والجهد، ليتسنى لك استغلال الوقت في التعلم، بدلاً من البحث.

منذ عشر سنوات أو أكثر، حدثت ثورة معلوماتية جعلت مصادر التعلم متوفرة للجميع وبالمجان. لكن بسبب كثرة تلك المصادر، صار من الصعب تمييز جيدها من رديئها. إن هذا الدليل الذي سأخبرك عنه يضم معلومات مختصرة (نحو 4000 آلاف كلمة فقط)، لكنك ستجد فيه الفائدة المرجوة.

لقد أنشأت هذا الدليل المجاني بعد أن اكتسبت الخبرة اللازمة، وهو سيخبرك عن أفضل الأماكن التي يمكنك أن تتعلم فيها بالمجان. كذلك فإن الدليل سيدلك على مصادر المعرفة التي تتلائم مع ما تبحث عنه.

يمكنك تحميل هذا الدليل المجاني عن طريق زيارة الموقع أدناه:

http://bit.ly/Robledo

والآن نعود لموضوعنا.

هل أنا الشخص المناسب للحديث عن الإبداع؟

قد تُدهشون إن قلت لكم إني لم أرَ نفسي شخصاً مبدعاً قط، فقد كنت أواجه صعوبة كلما حاولت أن أبدع في أمر ما. فمع رغبتي في أن أصبح مبدعاً، كانت تنقصني مهارة الإبداع. فالإبداع مهارة تحتاج إلى أن تُنَمّى شيئاً فشيئاً، ولذلك ألّفت هذا الكتاب.

إن تأملنا الناس، فسنجد أنهم ينقسمون إلى قسمين: قسم يندرج تحت التفكير التحليلي (أو المنطقي) وقسم يندرج تحت التفكير الإبداعي. لقد كنت أندرج تحت القسم التحليلي، دون أدنى شك. على سبيل المثال، كنت قادراً على التوصل إلى إجابات صحيحة في اختبارات مثل اختبار السات (SAT) وجي آر إي (GRE). فنظام التعليم بشكل عام يشجع التلاميذ على التفكير التحليلي، ويغفُلُ في كثير من الأحيان عن الجانب الإبداعي. لا أعتقد أن أياً منا يولد وفي طبعه أن يفكر تفكيراً تحليلياً أو يفكر تفكيراً إبداعياً. كلا القسمين يحتاج إلى إعداد وتدريب.

كثير منا لا يستثمر الوقت الكافي لكي يجعل من نفسه مبدعاً، لذلك ينبغي ألا نستغرب إن كانت تنقصنا القدرة على الإبداع. ولكي نمتلك تلك القدرة، علينا أولاً أن نستغل مهاراتنا الإبداعية في محاولة الإتيان بأفكار جديدة.

أعتقد أني الشخص المناسب للحديث عن الإبداع؛ لأني أخذت على نفسي عهداً بأن أطور قدراتي الإبداعية. ولقد لاحظت، أنه باستخدام طرق معينة، تمكنت بسهولة من الإتيان بأفكار لا حصر لها. ولأني استفدت من تلك الطرق، قررت أن أشارككم فيها لتستفيدوا منها أنتم أيضاً.

ما إن وضعت بعض الطرق في توليد الأفكار، حتى استخدمتها لتوليد طرق أخرى، جمعتها كلها في هذا الكتاب. لقد أطلقت على طرق التفكير تلك «طرق توليد الأفكار»، لأنها تُمكن الشخص من الإتيان بالأفكار بصورة سريعة. إن طبقتها، فسيصبح من السهل عليك أن تقدم 100 فكرة في اليوم أو أكثر، وهي بداية رائعة لأي مشروع كان. والجميل في الأمر أنها طرقٌ سهلة التطبيق، مما يجعلها مناسبة للجميع.

دعوني أحدثكم أكثر عن تجربتي مع الإبداع. أريد من حديثي هذا أن أثبت لكم أن مهارة الإبداع قد تتطور مع الوقت، كما أريد أن تعلموا أن تجربتي السابقة مع الإبداع تخولني أن أتحدث في هذا الموضوع. أريدكم أنتم أيضاً أن تتأملوا ماضيكم، وتتعلموا من تجاربكم السابقة. وهاكم نبذة مختصرة عن تجربتي مع الإبداع.

عندما كنت في الرابعة من عمري، كنت أذهب إلى المطبخ عند استيقاظي لأتناول فطوري. وفي أحد الأيام، كان جدي جالساً في المطبخ، فسألني: بماذا حلمت ليلة أمس؟ أذكر أني لم أفهم سؤاله، فأخذ يشرح لي معنى الأحلام. وبعد أن شرح لي معنى الحلم، عرفت لأول مرة في حياتي أن لدينا عالمين، عالم الخيال (أو عالم الأحلام) وعالم اليقظة. وأنا أعتقد أن أولى خطوات الإبداع في تلك السن المبكرة أن يفهم الطفل أن الخيال والحقيقة أمران مختلفان. الأطفال خيالهم مندفع وتصعب السيطرة عليه. أما الكبار فهم يعرفون كيف يتحكمون في تلك الطاقة ويسخرونها لحاجاتهم.

وعندما بلغت الخامسة من عمري، كانت تتراءى لي دائماً وحوش في الظلام. كانت تلك الوحوش تشبه الأشكال التي يراها المرء في اختبار «رورشاخ» النفسي، وهي أشكال من بقع الحبر يقوم الفرد بتحليلها ليكتشف ذاته.

وفي الليالي المظلمة، كنت أينما التفت، أرى ظلالاً رمادية وخيالات. كان عقلي يحول تلك الظلال إلى أشكال أو أشخاص، وكانت تلك الخيالات تحوم حولي. أتذكر مرة أنه خُيل إليَّ أن سوبرمان يحوم في سقف الغرفة. كنت أعلم أن ذلك غير حقيقي، لكني لم أجد آنذاك تفسيراً لتلك الخيالات التي كانت تُرعبني. أما الآن فأستطيع القول: إن كل ذلك كان سببه الخيال الواسع، والطاقة الإبداعية التي كانت تبحث لها عن مخرج.

وعندما بلغت السابعة من العمر، أصبحت شغوفاً بقيادة السيارات. وأتذكر أنه عندما كانت أمي تتركني وحدي أحياناً في سيارتها، كنت أحرك مقود السيارة، وأضغط على الأزرار التي أمامي، وقمت أكثر من مرة بالضغط على دواسة البنزين. ولحسن الحظ أنها كانت لا تُبقي مفتاح السيارة معي، وإلا كان من المحتمل أن أجرب قيادة السيارات وأنا في تلك السن المبكرة.

لم يتوقف هوس القيادة لديَّ عند هذا الحد. فقد كنت دائماً أتظاهر بأني أسوق سيارة، وكنت أفعل ذلك باستخدام طبقي الطائر الذي أتخيله مقوداً، وأدور حول البيت وأنا ممسكٌ به. وقد أفعل الشيء ذاته مع شماعة الملابس، فأتخيلها مقود سيارة أيضاً. وكنت كلما ركبت السيارة مع أمي، أوليها انتباهي كله. فعرفت عن دواسة البنزين والمكبح والكيفية التي ينبغي أن أحرك بها المقود عند الالتفاف أو الدوران. وكنت أطبق كل ما أتعلمه عندما أتظاهر بالقيادة وأنا ممسكٌ بطبقي الطائر. ولو سألني أحدهم حينها: ماذا تريد أن تصبح عندما تكبر؟ لأجبت من دون تردد: سائق سيارات سباق. لقد كان هذا المستوى من الإبداع مناسباً لسني آنذاك.

ولكن الوضع تغير عندما بلغت العاشرة من عمري. فقد أصبحت لا أفضل صنع أي شيء بنفسي، إلا الأشياء التي تطلبها مني المدرسة،

ونـادراً مـا كانـت تطلـب. وأذكـر أنـه عندمـا كنـت فـي الصـف السـادس الابتدائـي، طلـب منـا الأسـتاذ أن نكتـب أغنيـة ونغنيهـا أمـام الصـف. وفـي تلـك السـن، كنـت مسـتعداً لأن أفعـل أي شـيءٍ، إلا أن أكتـب أغنيـة وأغنيهـا أمـام زملائـي. وأذكـر أنـي كتبـت مـع صديقـي أغنيـة «راب» لـم تنجـح، ولـم يتوقـع أحـدٌ لهـا النجـاح. وسـأذكر لاحقـاً فـي هـذا الكتـاب الأسـباب التـي تجعـل الأطفـال يفقـدون ملكـة الإبـداع كلمـا تقدمـت بهـم السـن.

وفـي سـن الثامنـة عشـرة، أصبحـت مهووسـاً بكتابـة الخواطـر الشـعرية. ولأنـه لـم يدربنـي أحـد علـى كتابـة الشـعر، فـإن بعضـه كان رديئـاً، وبعضـه الآخـر كان لا بـأس بـه. وكانـت تلـك المرحلـة مـن عمـري ممتعـة؛ لأنهـا شـهدت غـزارة فـي إنتاجـي الفكـري. كنـت أحـاول أن أنظـم أبياتـاً شـعرية فـي كل مناسـبة، حتـى لـو كانـت تافهـة. كانـت تلـك الأشـعار تتحـدث عـن الجامعة وعـن المـرأة وعـن حياتـي بشـكل عـام وأنـا طالـب جامعـي. وفـي تلـك السـن أيضـاً، أتذكـر أنـي حاولـت كتابـة سـيناريو فيلـم، حتـى إنـي اشـتريت كتابـاً فـي ذلـك الموضـوع، لكنـي لـم أتعلـم شـيئاً منـه.

وبعـد ذلـك بسـنوات، أثنـاء دراسـتي للماجسـتير في علـم النفس الصناعي المؤسسـي، بـدأت أجـري أبحاثـاً عن الإبـداع. كانت تلك الأبحـاث تُركز على محاولـة إيجـاد طـرق تحسـن من مسـتوى الإبـداع لدى النـاس. ولقد شـاركت آنـذاك فـي كتابـة 14 مقـالاً أكاديميـاً فـي مجـلات مثل مجلـة بحوث الإبـداع[1] ومجلـة السـلوك المؤسسـي[2]. كذلـك، فإنـي كتبـت الفصـل الأخيـر مـن دليـل الإبـداع المؤسسـي[3].

وعندمـا بلغـت السادسـة والعشـرين مـن عمـري، أصبـح تركيـزي منصبـاً

---

(1) Creativity Research Journal
(2) Journal of Organizational Behavior
(3) Handbook of Organizational Creativiy

علـى الإتيـان بأكبـر عـدد ممكـن مـن الأفـكار لكتابـة الروايـات والقصـص القصيـرة. وأذكـر أنـه فـي بعـض الأوقـات، كانـت الأفـكار تنهـال علـيَّ، فكنـت أكتـب سـاعاتٍ متتاليـة عـن شـخصيات القصـة والحبكـة الفنيـة والحـوارات ومـا إلـى ذلـك. وفـي أحيـان أخـرى، كنـت أعجـز حتـى عـن الإتيـان بفكـرة واحـدة.

وفـي الوقـت الحاضـر، فإنـي أُسـخر جـل طاقتـي الإبداعيـة فـي الإتيـان بأفـكار لكتبـي، أفـكار للموضوعـات والعناويـن والفصـول وغيرهـا. وليـس ذلـك فحسـب، فأنـا الكاتـب فـي الشـركة التـي أديرهـا، وأنـا مسـؤول التسـويق فيهـا، وإلـيَّ ترجـع القـرارات الهامـة، كشـكل الغـلاف، والموافقـة علـى ترجمـة كتـاب، أو إصـداره فـي نسـخة مقـروءة أو مسـموعة، أو غيـر ذلـك. ولهـذا، فـإن طاقتـي الإبداعيـة مسـخرة للإتيـان بأفـكار لموضوعـات الكتـب أو لتحسـين التسـويق أو لتحسـين الشـركة بجميـع نواحيهـا. وقـد أضفـت ـ مـن قريـب ـ مهمـة أخـرى إلـى مهامـي، وهـي وضـع طـرق توليـد الأفـكار، ليتمكـن الجميـع مـن الإتيـان بمزيـد مـن الأفـكار.

ولقـد مـررت فـي حياتـي بأوقـات كان فيهـا مسـتوى الإبـداع لـدي عاليـاً. ولكـن هـذه الأوقـات لـم تكـن كثيـرة، إلـى أن قـررت ـ منـذ سـنوات قليلـة ـ أن أضـع طرقـاً تجعلنـي أبـدع متـى شـئت. ففـي الماضـي، كنـت كلمـا حاولـت أن أبـدع شـيئاً شـعرت بالسـوداوية والضيـاع، ولـم أعـرف الطريـق الـذي ينبغـي علـيَّ اتباعـه. وهـذا مـا جعلنـي أضـع الطـرق التـي سـأذكرها لاحقـاً فـي هـذا الكتـاب. وعلـى الرغـم مـن أنـي وضعـت تلـك الطـرق لتسـاعدني فـي مجـال الكتابـة، فإنـك تسـتطيع اسـتخدامها فـي أي مجـال آخـر تـود أن تبـدع فيـه.

هل للأفكار قيمة؟

وجهة النظر الأولى: الأفكار لا قيمة لها

أنا بالطبع لا أعتقد أن الأفكار لا قيمة لها، ولكني أود التحدث عن وجهة النظر هذه لكي ندرس الموضوع دراسة نقدية. كذلك فإن وجهة النظر هذه موجودة، ويتبناها عدد من الناس، فلا يمكنني تجاهلها. فلنبدأ بذكر الحجج التي يحتج بها من يتبنى وجهة النظر الأولى، وهي أن الأفكار لا قيمة لها. قد يقول شيئاً مثل:

اسأل نفسك: من أين تأتي الأفكار؟ من الذي يأتي بها؟ قد تأتي الأفكار من أي شخص في أي مكان، فقد تأتي من الأطفال، أو من أناسٍ بسطاء، أو من أناسٍ غير متعلمين، أو ممن لا يملكون الخبرة الكافية أو من أولئك الذين يتذمرون طوال الوقت. إذاً، إن كانت الأفكار تأتي بكل سهولة من أي شخص، فلا يمكن أن تكون لها قيمة كبيرة.

كذلك، فإنك نادراً ما تجد صاحب فكرة طبَّق فكرته التي جاء بها. فالكثير من الناس، حتى لو كانت لديهم أفكار رائعة، يتحدثون عنها فقط، ولا يضعونها موضع التنفيذ. فقد ذكر بيتر جولويتزر، أستاذ علم النفس في جامعة نيويورك، في مقالة بعنوان «عندما تكون النوايا معلنة»[1]، أن التحدث عن الخطط المستقبلية يجعلك تشعر وكأنك حققت تلك الخطط بالفعل. لذلك، فإن الذين يتحدثون عن أفكارهم

(1) When Intentions Go public

على الـدوام نـادراً مـا ينفذونهـا. وهـذه الخصلـة هـي التـي جعلـت بعـض النـاس يظنـون أن الأفـكار لا قيمـة لهـا.

الحجـة الأخيـرة هـي أن معظـم الأفـكار ليسـت جيـدة بمـا يكفي. فلا شـك فـي أنـه قبـل نجـاح فكـرة فيسـبوك أو مايكروسـوفت أو لوحـة الموناليـزا، كانـت هنـاك ألـوف الأفـكار التـي لـم تنجـح. الأغلبيـة العظمـى مـن الأفـكار في العالـم هـي أفكار عقيمـة، مصيرهـا الفشـل. فَلِمَ نبـذل جهـداً فـي محاولـة الإتيـان بأفـكار لـن يُكتـب النجـاح لمعظمهـا؟ أليـس مـن الأجـدى أن نسـتثمر وقتنـا فـي أشـياء أكثـر قيمـة؟

وجهة النظر الثانية: الأفكار هي سببٌ لأعظم الاختراعات في العالم؛ فالأفكار تمنحنا شيئاً أبدياً لا يُقدر بثمن

صحيح أني لا أتفق مع وجهة النظر الأولى، ولكن بعض الحجج التي يحتج بها أصحابها ينبغي أن تؤخذ في الحسبان. كذلك عندما نفهم وجهة النظر الأولى فهماً جيداً، سنُقدر وجهة النظر الثانية تقديراً أكبر.

تقول وجهة النظر الأولى إن كل الناس لديهم أفكار، حتى البسطاء منهم، لذلك فإن الأفكار لا قيمة لها. صحيح أن الجميع تقريباً قادر على أن يأتي بأفكار، ولكن معظم الناس يرضون بالأفكار التقليدية التي لا جديد فيها. فهم لا يستغلون قدراتهم في محاولة الإتيان بأفكار أكثر وأفضل. ولأن الكثيرين لا يأتون بأفكار مميزة (إما لأنهم يتبنون وجهة النظر الأولى أو لأسباب أخرى) فإن من يأتي بفكرة جديدة لن يجد منافسة حقيقية. دع الآخرين يكتفوا بفكرة أو فكرتين، ولتأتِ أنت بمئات الأفكار، ثم اختر منها ما يستحق أن تستثمر فيه وقتك وجهدك. ومع الوقت، ستستطيع أن تحقق أهدافك التي تصبو إليها.

وجهة النظر الأولى تقول أيضاً إن كثيرين يتحدثون عن أفكارهم ولكنهم قلّما ينفذونها. قد يكون ذلك صحيحاً، فمن طبيعة البشر أنهم يحبون أن يتباهوا بأفكارهم، ويتحدثوا عنها. ولا بد أنك سمعت أحدهم مرة يتحدث عن فكرة ناجحة لاقت رواجاً عند الناس، ويقول إنها فكرته، ولكنه لم ينفذها. فالناس يشعرون بالمتعة عندما يتباهون بذكائهم ويسمعون عبارات الثناء من غيرهم. إذاً، هي حقيقة أن الناس يتكلمون أكثر مما يعملون. لكن لم لا تكون أنت الاستثناء من هذه القاعدة؟ لم لا تختار أفضل الأفكار التي لديك ثم تحولها إلى واقع؟ ويمكنك أن

تعاقب نفسك، كلما وجدت أنك تتكلم أكثر مما تعمل. وليكن العقاب كما يلي: لكل دقيقة تضيعها في الحديث عن أفكارك، استثمر خمس دقائق في العمل على تنفيذ تلك الأفكار.

الحجة الأخيرة التي يحتج بها مؤيدو وجهة النظر الأولى هي أن معظم الأفكار التي يأتي بها الناس هي أفكارٌ ليست جيدة. هذا صحيح، ولكن من قال إن كل الأفكار التي تأتي بها يجب أن تكون رائعة؟ حتى أكثر العباقرة إبداعاً ليست كل أفكارهم رائعة. ما يهم هو أن تستمر في الإتيان بالأفكار إلى أن تقع على الفكرة التي كنت تبحث عنها. ولا بأس أن تأتي بمئة فكرة لا ينجح منها إلا اثنتان. ولكن تعلّم أن تفعل ذلك بسرعة، لكي تنتقل بعدها إلى الخطوة التالية، وهي تحويل الفكرة إلى واقع ملموس.

قد أستطيع القول إن البحث عن الأفكار القيّمة يشبه التنقيب عن الذهب. فعند التنقيب، ليس كل ما تجده ذهباً، ولكن بين الفينة والأخرى سيبرق لك معدن نفيس، ألا وهو الذهب. كذلك الحال مع الأفكار، فمن بين ألف فكرة تأتي بها ستجد فكرة أو فكرتين عبقريتين. قد تقول إن الإتيان بألف فكرة هو عمل مضنٍ، وأقول لك: هو ثمنٌ بخس تبذله في سبيل الإتيان بفكرة قد تغير حياتك أو تغير حياة الآخرين.

ما الإبداع؟

معظمنا لديه فكرة لا بأس بها عن معنى الإبداع. ولكن لأن بعض الناس يفهمون الإبداع فهماً خاطئاً، أرى أنه ينبغي عليَّ في البداية أن أبين على وجه الدقة معنى الإبداع.

كثيرٌ منا حين يسمع كلمة «إبداع»، يتوارد على ذهنه الرسَّامون والموسيقيون والمخترعون. هذه أمثلة عظيمة ولا شك، ولكن ما من مانع يمنع المهندس أو الطباخ أو حتى البستاني أو البائع أن يكونوا هم أيضاً مبدعين. الرسم أو الفن بشكل عام هواية يتجلى فيها الإبداع بأوضح صوره، ولكن هذا لا يعني أن الإبداع لا يمكن أن يظهر في شتى المجالات الأخرى.

والآن نعود إلى تعريف الإبداع. يتكون الإبداع من قسمين رئيسين: الابتكار والفائدة. وسأشرح كل قسم بالتفصيل في الصفحات التالية.

الابتكار

هـذا الكتـاب يسـاعدك علـى أن تأتـي بأفـكار جديـدة، وهـو الجـزء المرتبـط بالابتـكار. إن أردت معرفـة إن كان الشـيء مبتكـراً أم لا، فاسـأل نفسـك الأسـئلة التاليـة:

المرحلة الأولى: هل الفكرة جديدة عليّ؟

المرحلـة الأولـى مـن مراحـل الابتـكار هـي أن تأتـي بفكـرة جديـدة عليـك. فكـرة لـم تسـمع أن أحـداً أتـى بهـا مـن قبـل. علـى سـبيل المثـال، قـد تفكـر فـي تأسـيس شـركة تصنـع مسـتلزمات العنايـة بشـعر الـكلاب. هـذه المسـتلزمات قـد تشـمل: مشـط الشـعر، الشـامبو، منعـم الشـعر، أدوات الحلاقـة، ومقاطـع مصـورة تشـرح الطريقـة الصحيحـة لتحميـم الكلـب ومـا إلـى ذلـك.

يتحمـس كثيـرٌ مـن النـاس عندمـا يأتـون بفكـرة جديـدة، ظنـاً منهـم أن مهمتهـم انتهـت عنـد هـذا الحـد، فيقولـون: هـي فكـرة جديـدة ومبتكـرة وهـذا هـو الإبـداع. فـي الحقيقـة، علينـا أن نمحـص الفكـرة جيـداً لنتبيـن إن كانـت فعـلاً فكـرة مبتكـرة أم لا.

المرحلة الثانية: هل الفكرة جديدة على عامة الناس؟

قـد تكـون الفكـرة جديـدة عليـك، ولكـن هـل هـي جديـدة علـى غيـرك؟ هـل قـام أحـد بتأسـيس شـركة مشـابهة للشـركة التـي تـود تأسيسـها؟ أو هـل يمتلـك أحدهـم بـراءة اختـراع لمنتـج شـبيه بالمنتـج الـذي تـود تصنيعـه؟ أو

هل تحدث أحدهم عن فكرة مشابهة لفكرتك؟ أو هل توجد مواقع على الإنترنت تبيع منتجات شبيهة بالمنتج الذي تود بيعه؟

إن بحثت، وسألت، ولم تجد شيئاً شبيهاً بفكرتك، ففكرتك مبتكرة ولا شك. ولكني بحثت عن شركة متخصصة في بيع مستلزمات العناية بالكلاب، فوجدت منها الكثير. إذن، على رغم أن الفكرة كانت مبتكرة في رأيي، فإنها ليست مبتكرة في رأي غيري.

لقد تعمدت أن أضرب هذا المثال لأبين أمراً. حتى لو جاء أحدٌ قبلك بفكرة مشابهة لفكرتك، إن كانت الفكرة جديدة عليك، فأنت قد اجتزت المرحلة الأولى من مراحل الابتكار، وذلك لأن الفكرة أخذت منك وقتاً لتأتي بها. لكن عليك فقط أن تضع في حسبانك أنه ليست كل فكرة جديدة عليك هي فكرة جديدة على غيرك. المرحلة الأولى في الابتكار ليست بتلك الأهمية. المرحلة الثانية هي الأهم، وهي التي ينبغي عليك اجتيازها.

على مر التاريخ، أتى كثيرٌ من الناس باختراعات مبتكرة، ولكنهم أتوا بها متأخرة بعض الشيء، فقد سبقهم إليها آخرون. على سبيل المثال، تشارلز داروين وألفريد والاس، توصل كلٌ منهما على حدة إلى نظرية التطور في خمسينيات القرن التاسع عشر، ولكن داروين سبق والاس في الإفصاح عن نظريته. كذلك إسحق نيوتن وغوتفريد لايبنتز، كلٌ منهما وضع علم التفاضل والتكامل على حدة، في أواسط القرن السابع عشر، ولكن نيوتن سبق لايبنتز في الإفصاح عن نظريته. كما ترى، كانت هذه نظريات مبتكرة، ولكن من سبق في الإفصاح عن أفكاره، أعني داروين ونيوتن، هو من نال الثناء وخلود الذكر. إن مفهوم الفكرة المبتكرة هو في تغيرٍ دائم، فما هو مبتكر اليوم قد لا يكون مبتكراً غداً.

المرحلة الثالثة: هل الفكرة جديدة على الناس كافَّة؟

هـذه هـي المرحلـة الثالثـة مـن مراحـل الابتـكار، أن تأتـي بفكـرة تكـون جديـدة تمامـاً علـى الجميـع. هـذا يعنـي أنْ لا أحـد ـ علـى مـر التاريـخ ـ جـاء بفكـرة مثـل فكرتـك، علـى الرغـم مـن صعوبـة الجـزم بأنـه لـم يسـبقك أحـد إليهـا. ولأن المرحلـة الثالثـة لا نسـتطيع التحقـق منهـا دائمـاً، فـإن المرحلـة الثانيـة هـي المرحلـة التـي تهمنـا.

المرحلـة الثالثـة فـي الابتـكار وُضعـت لـك فقـط، لتعـي أنـك لا تسـتطيع التأكـد 100 ٪ مـن أن أحـداً لـم يـأتِ بمثـل فكرتـك مـن قبـل. علـى سـبيل المثـال، قـد يكـون ثمَّـة شـخص اكتشـف نظريـة التفاضـل والتكامـل قبـل ألفـي عـام، ولكنهـا ظلـت فـي ذهنـه ومـات قبـل أن يـدون أفـكاره علـى الـورق. وقـد يكـون دوَّنهـا حقـاً، ولكـن أوراقـه ضاعـت بمـرور السـنين. هـذا احتمـالٌ بعيـد، لكنـه ليـس مسـتحيلاً.

الأفكار غير المبتكرة قد تجعلك مبدعاً

قد تستغرب هذا الكلام، ولكن عليك أن تعلم أنَّه حتى الأفكار غير المبتكرة قد تجعلك مبدعاً، فلا تضع لنفسك الأعذار.

نعود مجدداً إلى فكرة مستلزمات العناية بالكلاب، التي ذكرتها آنفاً. لقد أخبرتكم أن هذه الفكرة قد نُفذت بالفعل، وأن المنتجات تباع على مواقع الإنترنت. إذاً فالفكرة الأساسية ليست مبتكرة. ولكن إن أضفنا تعديلات إلى الفكرة، وجئنا بشيءٍ جديد، فهذا سيجعلها فكرة مبتكرة. على سبيل المثال، ماذا لو قدمنا الفكرة في صورة خدمة؟ خدمة منزلية متخصصة في العناية بالحيوانات الأليفة ونظافتها. لست متأكداً إن كان يوجد من يوفر خدمات مشابهة أم لا، ولكن ما أريد قوله هو أنك تستطيع دائماً أن تعدل فكرتك إلى أن تقدم شيئاً مبتكراً للناس. شيء آخر يمكنك القيام به، وهو أن تستخدم شامبو أو منعم شعر ذا تركيبة مختلفة عما هو دارج في السوق. إن كنت مؤمناً بفكرتك، فلا تتخلَّ عنها بسهولة. قد يكون كل ما تحتاج إليه هو بعض التعديلات الطفيفة لتقدم شيئاً جديداً ومختلفاً عمَّا يقدمه الآخرون.

أردت توضيح هذا الأمر لأن كثيرين يظنون أن من جاء بفكرة قد سبقه إليها آخرون، فهذا يعني أن فكرته سيئة، أو أنها لا تستحق التنفيذ، وهذا خطأ. فأحياناً قد تكون الأفكار غير المبتكرة أفضل لأن الناس معتادون عليها. إنتاج مشروب غازي جديد مع إضافة الملح أو البهارات أو صلصة الصويا هو فكرة مبتكرة، ولكنها ليست بالضرورة ناجحة. لا يكفي أن تكون الفكرة مبتكرة فحسب، بل ينبغي لها أن تكون مفيدة أيضاً، وهذا هو القسم الثاني من الإبداع.

الفائدة (أو الجودة)

هل فكرتك تحل مشكلة ما؟

يظـن كثيـرٌ مـن النـاس أن أهـم مـا فـي الإبـداع هـو الفكـرة المبتكـرة. صحيـح أن الابتـكار جـزءٌ مهـم مـن الإبـداع، ولكـن الابتـكار وحـده غيـر كاف. إن الشـيء المبتكـر الـذي لا فائـدة منه هـو شـيء غريـب فحسـب. خـذ على سـبيل المثـال فكـرة المشـروب الغـازي الـذي ذكرتـه منذ قليـل، معظـم النـاس قـد لا يرغبـون فـي تجربتـه لأنـه منتـج غيـر مألـوف لهـم.

عنـد رسـم لوحـة أو كتابـة روايـة، فـإن عنصـر الابتـكار هـو مـا يهمنـا. ولذلـك، يظـن كثيـرون أن الابتـكار هـو أهـم عناصـر الإبـداع. ولكـن ينبغـي أن تعلـم أن فائـدة الشـيء مهمـة، كابتـكاره، سـواءٌ بسـواء؛ فالفائـدة هـي مـا يعنينـا عندمـا نفكـر فـي تأسـيس شـركة، أو حـل مشـكلة مرتبطـة بالإبـداع، أو تصميـم منتـج جديـد. فـي هـذه المجـالات، لـن يُقبِـل أحـدٌ علـى مـا تقدّمُـه مـا لـم يحقـق لـه فائـدة يرجوهـا.

لكـي تعـرف هـل فكرتـك مفيـدة أم لا، اسـأل نفسـك: هـل تسـاعد فكرتـك هـذه فـي حـل مشـكلة مـا؟ أحيانـاً يظـن بعـض النـاس أنهـم مبدعـون لأنهـم أتـوا بفكـرة هـي غايـة فـي الغرابـة. ولكـن إن لـم تحـل فكرتهـم تلـك مشـكلةً مـا أو تحقـق فائـدة مرجـوة، فهـم فـي الحقيقـة لـم يبدعـوا شـيئاً.

هذا توضيح موجز عن علاقة عُنصُرِي الابتكار والفائدة بالإبداع

فكرة مفيدة ومبتكرة ←―― لديك حل مبدع

فكرة مفيدة ولكنها غير مبتكرة ←―― لديك حل جيد لكنه غير مبدع

فكرة مبتكرة ولكنها غير مفيدة ←―― لديك حل غريب وغالباً لن ينجح

فكرة غير مفيدة وغير مبتكرة ←―― لديك حل فاشل وغير مبدع

لماذا نبدع؟

لكي نشعر بالمتعة

أنا شخصياً أرى أن الإبداع أمرٌ ممتعٌ جداً، فهو فرصة لأن آتي بشيءٍ جديد ومختلف ثم أقدمه للناس. وإن لاقى ذلك الشيء استحساناً عند الناس، فسيستمتعون به أيضاً، أو سيستفيدون منه بطريقة أو بأخرى.

سيقول كثير من الناس: قد أجد المتعة في أشياء أخرى غير الإبداع، كمشاهدة الأفلام أو اللعب أو ركوب الدراجات أو ممارسة الرياضة أو التقاط الصور الفنية أو غير ذلك من الأمور. لكن المتعة التي نحصل عليها من الإبداع هي متعة مختلفة تماماً. فحينئذٍ، تكون أنت الشخص الذي يقدم شيئاً جديداً للناس ليستمتعوا به.

أما أنا، فأحب أن أحصل على المتعة من الإبداع ومن الهوايات التي أمارسها. فأنا لا ألزم نفسي طريقة واحدة أشعر بالمتعة من خلالها.

لكي نقضي على الملل

«تأتينا الأفكار عندما نحلم في وضح النهار، وتأتينا الأفكار عندما نشعر بالملل، وتأتينا الأفكار في كل الأوقات. الفرق الوحيد بيننا معشر الكتاب وبين غيرنا هو أننا نكون على وعيٍ بذلك».

- الكاتب البريطاني نيل غيمان

يقول نيل غيمان في الاقتباس أعلاه إنه عندما يريد أن يُبدع، فإنه يجبر نفسه على الشعور بالملل. لقد أعجبتني هذه المقولة عندما سمعتها أول مرة، ولكنها جعلتني أتساءل: لماذا يساعد الشعور بالملل على الإبداع؟ الحقيقة أن الإجابة في غاية السهولة. الإبداع هو وسيلة الدماغ الطبيعية للتعامل مع الملل، فالشعور بالملل هو نتيجة انعدام المحفز وانعدام أي شيءٍ جديد ومثير. والإبداع يعطينا المحفز الذي نبحث عنه، ويعطينا أشياء جديدة وممتعة لنفكر فيها. فالإبداع يهاجم الملل كما تهاجم الأجسام المضادة الفيروسات التي تحاول اختراق أجسامنا.

كذلك فكّر معي، متى يبدع الناس عادة في مجتمعاتهم؟ هم يبدعون عندما تتوفر لهم كل احتياجاتهم الأساسية، احتياجاتهم من المأكل والمشرب والعيش في وطن يسوده الأمن والأمان. خذ على سبيل المثال عصر النهضة في أوروبا الذي بدأ نحو عام 1350 ميلادية، وامتد إلى زهاء عام 1600. عصر النهضة هذا الذي كان يتفجر إبداعاً، سبقته العصور المظلمة التي فشت فيها المجاعة، وانتشرت الأمراض، وكثرت الحروب. إذاً ليس من قبيل المصادفة أنه ما إن انتهت تلك الحروب والمجاعات، حتى بدأ عصر النهضة، عصر الصحوة والإبداع.

والآن، ينعم الناس في الدول المتقدمة بالصحة والعافية، ولا يخشون الموت لا من فقرٍ ولا من حرب. لا يعيش الجميع اليوم في تلك الظروف بطبيعة الحال، ولكن أكثر الأماكن التي يظهر فيها الإبداع تكون في تلك الدول. أنا مؤمن بأنه متى وجد الإنسان جميع حاجاته الأساسية، تصبح الحياة هينة سهلة، ومن ثم يبدأ الملل بالتسلل إلى نفسه. وعندها، يبدأ الدماغ في مقاومة الشعور بالملل، مولداً الإبداع. صحيح أنه ليس كل من يشعر بالملل سيبدع، ولكن بصورة عامة توجد علاقة قوية بين الشعور بالملل والإبداع.

يحتاج الناس إلى ما يشغلهم. قد تشغل نفسك بمشكلات الناس، أو بإبداعاتهم (كأن تشاهد فيلماً أو تقرأ رواية)، أو بإبداعاتك أنت. أياً كانت الطريقة، فلا بد أن تشغل نفسك لكي تمنح عقلك شيئاً من التحفيز. ولا شيء يحفز عقلك أفضل من الإبداع، فحينها تكون أنت صاحب القرار، وتختار الطريق الذي تريد السير فيه، دون أن يُملي عليك الآخرون ما يجب فعله. عندما تبدع، فأنت تتصرف وفقاً للأهداف التي وضعتها لنفسك.

ولكن عليَّ أن أكون منصفاً وأقول: حتى عندما تكون الظروف قاسية، فإن الإبداع قد يظهر. مثل ما حدث مع وليام كامكوامبا، الذى بنى طاحونة الهواء دون توفر أي مواد حقيقية. فالحاجة قد تحفز الناس لأن يبحثوا عن حلول مبدعة لمشكلاتهم.

وهاكم مثالاً آخر يريكم أن الإبداع قد يظهر بسبب الحاجة، ولا يحتاج دائماً إلى بيئة مثالية.

قبل بضع سنوات، سمعت قصة عن طالب متنمر، في المرحلة الثانوية، هدد طالباً آخر ضئيل البنية بأنه سيلقاه بعد المدرسة ليتعارك معه. ذهب المتنمر في الوقت المحدد إلى المكان المتَّفق عليه،

ووقف ينتظر تحت الشجرة. وبعد لحظات، وقع المتنمر على الأرض واللكمات تنهال عليه من كل جهة، وانتهت المعركة سريعاً بفوز الطالب الضئيل البنية.

كيف انتهت المعركة بهذه الطريقة؟ الذي حدث أن الطالب الضئيل قضى وقتاً يفكر في طريقة ينتصر بها على ذلك الطالب الذي يفوقه في الحجم والقوة. وبعد قليل من التفكير، توصل الطالب الضئيل إلى حل. قرر أن يأتي مبكراً إلى المكان المتَّفق عليه، ويختبئ أعلى الشجرة. وعندما حانت اللحظة المناسبة، قفز الطالب الضئيل البنية على ذلك المتنمر قفزةً مباغتة، وانهال عليه بضربات متتالية. نجحت خطة الضئيل لأنه لم يكن يملك خياراً آخر. كان يجب عليه أن يأتي بخطة ناجحة، وإلا فإن القوي كان سيكيل له الضربات الموجعة. إبداعه هو الذي ساعده على أن ينجو بنفسه.

لكي نتطور مهنياً

أياً كان المجال الذي تعمل فيه، فإنك كلما أتيت بأفكار أكثر، زادت فرص وقوعك على فكرة عبقرية تحقق بها تطوراً في عملك. كذلك فإن الأشخاص المبدعين في عملهم هم الذين تزيد فرص ترقيتهم.

من المؤسف أنْ ليست كل بيئات العمل تُشجع موظفيها على الإبداع. بعض المبدعين سيجدون أنفسهم عالقين في وظيفة تُقيد طاقاتهم الإبداعية. قد يكونون يعملون في بيئة لا تتناسب مع قدراتهم، ولا تقدر إبداعاتهم. كثيرٌ من بيئات العمل تريد منك أن تقوم بما يُطلب منك فحسب، وهذا الأسلوب لا يتلاءم مع أولئك الذين يريدون أن يشقوا لهم طريقاً في الإبداع.

ولكن الحقيقة هي أنك غير مقيد كما تظن. قد تشعر لفترة مؤقتة بأنك مقيد، ولكن الإبداع سيخلصك من القيود التي قد تُفرض عليك.

أحياناً قد تجد أن كل الخيارات التي أمامك لا تتلاءم مع ما تبحث عنه. ولكن تخيَّل أن الخيار المثالي الذي تبحث عنه غير موجود بعد، وعليك أن تصنعه بنفسك. لذا، إن شعرت يوماً بأن مكان العمل وطبيعته يقيدانك، فلا تتردد في أن تختار طريقاً آخر ترضاه، لكي تعيش الحياة التي تريدها. أما إن كنت تعمل في بيئة تقدر إبداعك، فيمكنك عندها أن تحقق أهدافك المبدعة في العمل، ولا حاجة إلى أن تشق لنفسك طريقاً مستقلاً.

لكي يكون لدينا ما نقوله للناس

المبدع يكون أقدر على قيادة الحوار من غيره، لأن لديه دائماً ما يقوله. فلقد ملَّ الناس الحوارات المعتادة، مثل السؤال عن الوقت أو الحديث عن العمل أو حالة الجو. أما الشخص المبدع فهو قادر على إيجاد موضوعات جديدة وممتعة للحديث عنها.

لطالما وجدت صعوبة في محاولة الإتيان بموضوعات وأنا أتحدث مع الآخرين. ولكن عندما تكون مبدعاً، فإن الأمر يكون أسهل بكثير. فالإبداع سيجعل حس الفكاهة لديك أقوى، وقدرتك على ربط الموضوعات بعضها ببعض أكبر. وعندها ستكون شخصاً مسلياً، يحب الناس أن يقضوا وقتاً برفقته.

لكي نكون أكثر اعتماداً على أنفسنا

في الأغلب، لا تتوفر لدينا كل الأدوات والوسائل التي نحتاج إليها لحل مشكلة ما. لكن المبدع قادر على الإتيان بحلول للمشكلة التي أمامه، حتى إن كانت تنقصه الأدوات اللازمة.

تخيل معي رساماً يرسم لوحة احتاج فيها إلى اللون الأحمر، فقرر شراء اللون، لكنه لم يجده في أيٍّ من المحالّ التي ذهب إليها. الرسام الآن أمام خيارين، إما أن يرسم من غير اللون الأحمر، أو يصنع اللون بنفسه. قد يستطيع مثلاً صنع اللون بمزج لونين آخرين (هذا الخيار قد ينجح مع الألوان الأخرى، ولكن اللون الأحمر لون أساسي ولا ينتج عن امتزاج لونين). أو قد يستخدم صلصة الكاتشاب ويخلطها مع مادة أخرى، حتى يحصل على القوام الذي يريده. بل إنه قد يفكر في جرح إصبعه وإراقة دمه، لكي يحصل على اللون الأحمر الذي يريد.

وهاكم مثالاً آخر على أن الإبداع يجعلك أكثر اعتماداً على نفسك: كيف يمكنك إصلاح نظارتك إن لم تملك مفك براغٍ مسطح الرأس؟

ماذا لو كان لديك مشبكٌ حديديٌ ومطرقة؟ كيف ستستخدمهما؟ أحد الحلول الممكنة هو أن تطرق رأس المشبك بالمطرقة إلى أن يتسطح، ويصبح شكله يشبه إلى حد ما المفك الصغير. وبعدها يمكنك استخدام المشبك المسطح في إصلاح النظارة. أمثال هذه الحلول هي التي تجعل المبدعين أكثر اعتماداً على أنفسهم من غيرهم.

لكي نأتي بحلول للمشكلات الصعبة

كلما طورت من قدراتك الإبداعية، كنت أكثر قدرة على حل المشكلات المعقدة. فعندما تكون مبدعاً، تستطيع أن تأتي بحلول سريعة ومفيدة، في الوقت الذي يعجز فيه الآخرون عن اتخاذ القرار المناسب. القدرة على الإتيان بحلول مناسبة ستزيد من ثقتك بنفسك. ستقول لنفسك كلما واجهت مشكلة: «لقد واجهت مشكلات صعبة في الماضي وتغلبت عليها، وسأتغلب على هذه المشكلة أيضاً».

كلنا يواجه مشكلات صعبة من حين إلى حين. تلك مشكلات شخصية، لكننا نواجه أيضاً مشكلات عالمية تحتاج إلى من يحلها. سأذكر بعضها، لا لأبحث عن حل لها، بل لأبين لكم أن كثيراً من التحديات تنتظر من يتغلب عليها.

في العالم اليوم قضايا كثيرة، وأغلب هذه القضايا تحتاج إلى مبدعين للتعامل معها. وإليكم بعضاً منها:

- الاحتباس الحراري
- أزمة الطاقة
- التلوث
- الفقر
- تعريض الحيوانات لخطر الانقراض

- نقص الرعاية الصحية
- نقص التعليم

توجد طبعاً قضايا أخرى مهمة لم آتِ على ذكرها. تلك القضايا - لضخامتها - تحاول حلها حكومات ومؤسسات تجارية ومنظمات تطوعية. ولكن على المبدعين ألا يستثنوا أنفسهم من محاولة الإتيان بحلول لهذه المشكلات التي تهدد العالم. ولا ننسى قصة وليام كامكوامبا، الذي حل مشكلة قرية بأسرها عندما وفَّر لها المياه، على رغم جهله وفقره وقلة حيلته.

على كل شخص أن يبذل قصارى جهده ليأتي بأفكار تحل تلك المشكلات، وتساعد في تقدم البشرية. عندما تكون لديك فكرة عبقرية، فإنها ستجذب الناس إليها، وسيحاولون معك أن يحولوا تلك الفكرة إلى حقيقة. وهذا ما حدث لوليام كامكوامبا، فأفكاره وأخلاقه في العمل شجعت المستثمرين من كل أرجاء العالم للعمل معه في مشاريع ضخمة.

كيف تتم عملية الإبداع؟

بعد أن عرفنا أن الإبداع يرتكز على عُنصُرِي الابتكار والفائدة، لننظر الآن إلى الكيفية التي تتم بها عملية الإبداع، أي الخطوات التي نتخذها لنصل إلى نتيجة مبدعة. انظر إلى خطوات العملية أدناه، وتخيل أنها على شكل قمعٍ ضخم. قد تجمع مئة فكرة، تقيّم منها عشرين، تجرب منها ثلاثاً، ثم تطبق منها واحدة. تبدأ العملية بمئات الأفكار إلى أن تصل إلى فكرة واحدة تستحق التطبيق. هذا الكتاب يركز على فوهة القمع الواسعة، أي مرحلة تجميع الأفكار. ولكن الأفكار وحدها غير كافية. نحن نحتاج إلى أكثر من ذلك لكي ننجح في رحلتنا نحو الإبداع. فهم مراحل العملية فهماً كاملاً هو نقطة الانطلاق.

1. **تجميع الأفكار**: أن تأتي بالأفكار، أحد طرق القيام بذلك هو استخدام طرق توليد الأفكار المذكورة في هذا الكتاب.
2. **تقييم الأفكار**: تسأل نفسك إن كانت تلك الأفكار جيدة بالفعل.
3. **تجريب الأفكار**: تجرب تلك الأفكار، تطبقها مثلاً على بعض الناس.
4. **تطبيق الأفكار**: تبدأ بتطبيق الأفكار على نطاق واسع.
5. **استقبال الناس للفكرة**: هل لاقت فكرتك قبولاً أم لا؟
6. **التحسينات المستمرة**: تقوم بعمل التغييرات اللازمة وفقاً للملاحظات التي تلقيتها.

هذه نبذة مختصرة عن مراحل عملية الإبداع. والآن سنشرح تفاصيل العملية شرحاً مفصلاً.

مرحلة تجميع الأفكار

هذه أولى مراحل عملية الإبداع. في هذه المرحلة، ينبغي عليك أولاً أن تحدد الشيء الذي تريد التركيز عليه. قد تضع لك هدفاً عاماً، أو تكون أكثر دقة، الأمر عائد إليك. على سبيل المثال، قد يكون هدفك العام هو كتابة رواية. في هذه الحالة، ستبدأ بالتفكير في نوع الرواية التي تود تأليفها. وبعد ذلك، ستكون أكثر دقة، وتبدأ بالتفكير في الحوارات والشخصيات الخيرة والشخصيات الشريرة في القصة. لا بأس في أن تفكر بصورة عامة وأنت تجمع الأفكار، ولكني أنصحك بأن تكون دقيقاً في تحديد هدفك قدر الإمكان.

وما إن تحدد الشيء الذي تريد التركيز عليه، يمكنك البدء في تجميع أفكارك. عليك أن تأتي بأكبر قدر ممكن من الأفكار دون أن تقيّم أياً منها. تغدو عملية تجميع الأفكار سلسة وسريعة عندما لا تعترضها عملية التقييم. قد يتطلب منك الأمر وقتاً كي تعتاد ذلك، لكنه أمر في غاية الأهمية.

ذكّر نفسك كلما هممت بتقييم فكرة ما بأنك الآن في مرحلة تجميع الأفكار لا غير. ومع الوقت، ستعتاد تجميع الأفكار دون تقييمها مباشرة.

مرحلة تقييم الأفكار

قد تكون فكرتك مبتكرة، ولكن هل تنفيذها عملي؟

قبل أن تبدأ بتقييم الأفكار، تأكد أنك قد دوَّنت كل الأفكار التي جمعتها أمامك.

بعد ذلك، لكي تقيم فكرة ما، اسأل نفسك: هل تحتاج الفكرة إلى كثير من المعدات والأموال لتطبيقها؟ هل ستأخذ من وقتي الكثير؟ هل سأجد خبراء يساعدونني في تطبيق فكرتي؟ ثمَّة أفكار يكلف تطبيقها أموالاً طائلة، ولكن عائدها المادي قليل. هذه الأفكار قد لا تستحق أن تبذل فيها وقتك وجهدك. وإن كنت غير قادر على تقييم فكرة ما، فتواصل مع من لديه الخبرة الكافية، ليساعدك في ذلك.

يتردد بعض الناس في مشاركة أفكارهم مع الآخرين، خوفاً عليها من السرقة. الحل هو أن تعمل مع أشخاص تثق بهم. حاول أن تبحث عن شخص تستطيع أن تتحدث معه عن فكرتك بصراحة، ومن دون خوف. ولا شك في أنك ستطلب المشورة من أشخاص مبدعين، وهؤلاء لديهم إنجازاتهم التي تغنيهم عن سرقة أفكار غيرهم.

شيء آخر ينبغي أن تضعه في اعتبارك، هو أن نجاح أي فكرة يتطلب الكثير من الجهد. على سبيل المثال، إن كتبت كلمات أغنية، وأرسلتها إلى فرقة غير معروفة لغنائها، فلا تتوقع منها أغنية رائعة. وحتى لو نجحت الفرقة في تقديم أغنية فريدة من نوعها، فإنها ستكون مختلفة تماماً عن التصور الذي كان لديك للأغنية. في الأغلب، تكون النتيجة

النهائية لعملٍ ما مختلفة عن الفكرة الأولية التي وضعناها. إن كان الإتيان بالفكرة يتطلب جهداً، فإن إبداع شيءٍ ذي قيمة يتطلب جهداً مضاعفاً.

كذلك فإن بعض المبدعين المبتدئين يبالغون في تحفظهم على أفكارهم، وهذه مشكلة حقاً. فمن المفيد أن تعرف ردود أفعال الناس إزاء فكرتك، بدلاً من إبقائها طي الكتمان. المبالغة في التحفظ على الأفكار وعدم مشاركتها مع الآخرين قد يخمد حسك الإبداعي من حيث لا تدري، بينما النقاش مع الآخرين واستلهام الأفكار منهم سيجعلك أكثر إبداعاً.

وماذا عن المسؤولين والنظم والقوانين؟

أثناء مرحلة تقييمك لأفكارك، ينبغي أن تحل أي مشكلات عالقة، وتتدارك أي نقاط ضعف موجودة. كثيرٌ من الناس يركزون على تقييم الفكرة ذاتها وينسون المسؤولين والنظم والقوانين. أعني بالمسؤول أي شخص بيده الموافقة على فكرتك أو رفضها. والنظم والقوانين هي أي إجراءات تقليدية أو حكومية عليك القيام بها قبل المضي في تطبيق فكرتك.

مهما كانت فكرتك رائعة، فلن ترى النور إلا بعد أن يوافق عليها المسؤولون، وتكون وفق النظم والقوانين. قد توجد أمورٌ ينبغي عليك القيام بها لتتم الموافقة على فكرتك. على سبيل المثال، هل تحتاج إلى قرض مالي لكي تستطيع تنفيذ فكرتك؟ هل يوجد قانون يمنعك من استخدام مادة معينة من مواد التصنيع كنت تنوي استخدامها في المنتج؟ هل ستستغرق الإجراءات القانونية وقتاً طويلاً تكون فكرتك بعده قد عفا عليها الزمن؟ هذه أسئلة مهمة ويجب عليك معرفة أجوبتها منذ البداية. أما إن تجاهلتها ومضيت في طريقك، باذلاً الكثير من مالك ووقتك وجهدك، فإن المشكلات ستعود لتظهر لك في النهاية، وتمنعك من تنفيذ فكرتك. لذلك عليك منذ البداية أن تحل مشكلاتك مع المسؤولين، وتعمل وفق النظم والقوانين.

طريقة تعاملك مع المسؤولين ـ في أول الأمر وآخره ـ أمرٌ عائدٌ إليك. قد تختار الإذعان للأوامر وتغيير الفكرة بما يتوافق مع النظم والقوانين، لتضمن الموافقة عليها ومن ثم تطبيقها. أو قد تصر على العناد والمماطلة، مما قد يؤخر سير العمل، ويعرقل مسيرتك نحو الإبداع.

مرحلة تجريب الأفكار

في هذه المرحلة من مراحل الإبداع، ستكون لديك فكرة مبتكرة ومفيدة استقر رأيك عليها. هذه الفكرة خضعت لتقييمٍ دقيق في مرحلة سابقة، وأثبتت أنها فكرة مترابطة قد يُكتب لها النجاح.

والآن آن أوان تجربة الفكرة. توجد أكثر من طريقة لفعل ذلك، يمكن أن تختار منها ما يناسبك، وفقاً لأهدافك أو المجال الذي تعمل فيه. هذه الطرق هي:

المنتج الفعال الأساسي (MVP)

المنتج الفعال الأساسي[1] هو المنتج الذي لم يتخذ شكله النهائي بعد، فبدلاً من تقديم المنتج في شكله الأخير، أنت هنا تقدم عينة، ليستخدمها الناس أو يجربوها. الهدف من هذا المنتج هو معرفة إن كنت بحاجة إلى استثمار مزيد من الوقت والمال، ليظهر المنتج النهائي في صورة ممتازة.

على سبيل المثال، إن كان عملك هو تصميم ألعاب الفيديو، فإن المنتج الفعال الأساسي قد يكون مقطعاً قصيراً يضم بعض مراحل اللعبة الأصلية. تستغرق ألعاب الفيديو الكثير من الوقت لتصميمها، لذا من الأفضل أن تخصص شهوراً لصنع المنتج الفعال الأساسي، بدلاً من إضاعة سنوات في صنع شيء لا يلقى قبولاً لدى الناس، أو تظهر به ثغرات كان يمكن تلافيها منذ البداية.

---

(1) Minimum Viable Product

ضربت المثال السابق لأبين أن صنع المنتج الفعال الأساسي منذ البداية يجنبنا إضاعة سنوات وأموال في فكرة لن يُكتب لها النجاح. وفي أي مجالٍ كان، إن لم ينجح المنتج الفعال الأساسي، يمكنك أن تغيره وتصنع منتجاً آخر إلى أن تصل إلى المنتج الذي ترضاه. وبعد ذلك، يمكنك أن تبدأ في صنع المنتج في صورته النهائية، ثم تقدمه إلى الناس. هذه الطريقة فعالة لضمان نجاح المنتج النهائي.

النموذج الأولي

النموذج الأولي هو ببساطة نوع من أنواع المنتج الفعال الأساسي، ولكن الأخير يعنى عادة بتصنيع شيء يمكن للناس تجربته. عندما تصنع المنتج الفعال الأساسي، فإن ما يهمك هو تقديم شيء للعميل ليجربه، ويعطيك رأيه. أما عند صنع النموذج الأولي، فإنك غالباً ما تقوم بذلك لنفسك، لترى صورة مصغرة من المنتج الذي تود تقديمه للناس. على سبيل المثال، يناسب النموذج الأولي المخترعين، فهو يساعدهم على التأكد من أن ابتكاراتهم قابلة للتنفيذ. أما رجال الأعمال فهم يفضلون استخدام المنتج الفعال الأساسي. على كل حال، لا توجد ضوابط ثابتة تجبرك على استخدام طريقة دون الأخرى.

صنع النموذج الأولي له تحدياته أيضاً، فليس من السهل أن تصنع نسخة مصغرة من المنتج الذي تود تقديمه للناس. على سبيل المثال، إن كنت تنوي صنع نوع جديد من ألواح الطاقة الشمسية، فمن الأفضل أن تصنع لوحاً صغيراً تجربه قبل أن تشرع في تصنيع الألواح الضخمة التي تُرَكَّب على المنازل. فكرة النموذج الأولي قد تفيد مع الألواح الشمسية، ولكنها ليست كذلك في بعض الاختراعات الأخرى. فمثلاً، لا معنى لأن تقوم بصنع نموذج أولي لمركبة فضائية، وترسلها إلى القمر. فالأمور الفيزيائية والتحديات في المركبة الصغيرة مختلفة تماماً عنها في المركبة الكبيرة. كذلك فإن التكلفة قد تكون واحدة في المركبتين، مما يجعل صنع النموذج الأولي أمراً لا يستحق التطبيق.

ولكن النموذج الأولي فكرة تستحق التطبيق في أحيان أخرى كثيرة.

على سبيل المثال، قد يساعدك النموذج في إقناع المستثمر بأن فكرتك ناجحة، وتستحق أن يستثمر أمواله فيها. كذلك فإنه سيفيدك عندما تكون راغباً في الحصول على براءة اختراع لفكرةٍ ما. أيضاً، إن كانت لديك بعض الشكوك بشأن نجاح فكرتك، وكان تطبيق الفكرة مكلفاً جداً، فإن النموذج الأولي سيساعدك. وإن كان صنع النموذج سهلاً إن قارناه بصنع المنتج النهائي، فبادر بصنعه ولا تتردد. أنت من يحدد إن كانت طريقة النموذج الأولي تناسبك أم لا. لأنها إن كانت ستكلفك الكثير، فمن الأفضل حينها أن تجازف وتصنع المنتج النهائي مباشرة.

آراء الناس وردود أفعالهم

كثيرون لا يضعون في اعتبارهم آراء الناس وردود أفعالهم عندما يفكرون في أن يبدعوا شيئاً. هؤلاء يظنون أنه ليس من الإبداع أن يسألوا الناس عن رأيهم فيما أبدعوه، على الرغم من أهمية هذا الأمر. هذا لأننا طالما سمعنا عن المبدعين الذين أتوا باختراعات عبقرية، وهم في معزل من الناس. ولكن، في عالمنا الحقيقي، فإن الإبداع هو حصيلة أمرين مجتمعين، التفكير المنفرد ثم مشاركة الفكرة مع الآخرين. الحرص على هاتين الخطوتين هو ما يجعلنا نأتي بأفكار مبدعة. ولأقرِّب لكم الفكرة أكثر، تخيل أنك في صدد تصميم منزلك الجديد الذي تريده أن يكون على طراز مميز. تود مثلاً أن تجعل المطبخ مفتوحاً ومطلاً على غرفة الجلوس. وتود أن تكون غرف النوم ذات سقف زجاجي يسمح بدخول أشعة الشمس. وقد تفكر في جعل إحدى غرف المنزل غرفة زجاجية مخصصة للنباتات. أنت ترى أن هذه أفكارٌ رائعة ستجعل بيتك مميزاً. لكن الفكرة التي تروق لك قد لا تروق لغيرك، وقد تصاب بصدمة مستقبلاً إن فكرت في بيع المنزل ولم تجد من يرغب في شرائه.

إن تبادل الأفكار مع الآخر، ومعرفة ما يريد وما يحب، هما جزء أساسي من مسيرة الإبداع. اسأل نفسك: من الذي سيحكم على إبداعي بالنجاح أو الفشل؟ لن يكون شخصاً واحداً في الأغلب. قد يحكم عليه من له صوتٌ مسموعٌ في المجتمع، ولكن في نهاية الأمر فإن عامة الناس هم من يحددون إن كان عملك مبدعاً أم لا. إن رأوا فكرتك غير مبتكرة أو غير مفيدة، فلن يُكتب لها النجاح. وفي هذه الحالة، أنت أمام

ثلاثـة خيـارات. إمـا أن تقبـل هـذه الحقيقـة وتنتقـل إلـى فكـرة أخـرى، أو تحـاول أن تعرّفهـم القيمـة الحقيقيـة لإبداعـك، أو قـد تضيـف تعديـلات إلـى الفكـرة لتلاقـي قبـولاً أكثـر عنـد العامـة.

أرجـو أن تكـون قـد أدركـت الآن أهميـة معرفـة آراء النـاس وأنـت فـي «مرحلـة تجريـب الأفـكار» لتتأكـد مـن أنـك فـي الطريـق الصحيـح. والآن، لنفكـر فـي الطـرق التـي يمكـن مـن خلالهـا معرفـة آراء النـاس وردود أفعالهـم.

إحـدى تلـك الطـرق هـي أن تسـأل أهـل الخبـرة عـن رأيهـم. إن اسـتطعت أن تجـد خبيـراً يوافـق علـى تقييـم فكرتـك، فذلـك سـيفيدك كثيـراً. فالخبـراء قـادرون علـى فهـم المجـال الـذي يعملـون فيـه أكثـر مـن غيرهـم، ولهـم نظرتهـم الخاصـة، وقدرتهـم علـى تقديـم ملاحظـات قيّمـة. لكـن ضـع فـي حسـبانك أنـه كلمـا كانـت فكرتـك أكثـر ابتـكاراً واختلافـاً عمـا هـو متعـارفٌ عليـه، وجـدت معارضـة أكبـر حتـى مـن الخبـراء أنفسـهم. هـذا أمـرٌ وارد، وأنـت مـن يقـرر إن كانـت ملاحظاتهـم فـي محلهـا، أو كانـت مجـرد رفـض لـكل مـا هـو جديـد ومختلـف.

طريقـة أخـرى تسـتطيع بهـا معرفـة آراء النـاس هـي أن تتواصـل مباشـرة مـع عملائـك، إن كان لديـك عمـلاء. وإلا يمكنـك أن تبحـث عـن أي شـخص تعتقـد أنـه قـد يُعجـب بإبداعـك، وتسـأله عـن رأيـه. أكثـر مـا يهـم النـاس هـو أن تكـون فكرتـك مفيـدة لهـم. وإن لـم تكـن كذلـك، فلـن يهمهـم بعـد ذلـك إن كانـت الفكـرة مبتكـرة أم لا. وإن كنـت سـتقدم إبداعـك فـي صـورة خدمـة أو منتـج، فعليـك أولاً أن تعـرف إن كان عميلـك الرئيـس مسـتعداً لدفـع المـال مـن أجـل الحصـول علـى تلـك الخدمـة أو المنتـج أم غيـر مسـتعد. يميـل النـاس غالبـاً إلـى المجاملـة عنـد سـؤالهم عـن رأيهـم فـي منتـج مـا، فـلا تحمـل ثناءهـم محمـل الجـد. أقتـرح أن تسـألهم صراحـة: هـل أنتـم مسـتعدون لدفـع المـال فـي منتـج كهـذا؟ وهـل ترغبـون فـي تسـجيل طلـب الشـراء الآن؟

بهـذه الطريقـة سـيتضح لـك إن كانـوا جاديـن فـي ثنائهـم علـى المنتـج أم لا. وإن كانــوا جاديــن حقــاً، فيمكنــك تدويــن بياناتهــم الشــخصية، لتتواصــل معهـم لاحقـاً، عندمـا يكـون المنتـج النهائـي جاهـزاً للبيـع.

عندمـا تجتمـع لديـك ملاحظـات النـاس والخبـراء، عليـك أن تعـي أنـك أنـت مـن يقـرر إن كنـت سـتأخذ تلـك الملاحظـات فـي الحسـبان أم لا. فقبـل أن تطبـق أي ملاحظـة، اسـأل نفسـك: هـل تطبيـق الملاحظـة هـو أمـر مفيـد وعملـي؟ أعنـي بمفيـد أن تطبيـق الملاحظـة سيحسـن مـن المنتـج ويجعلـه أفضـل ممـا كان. أمـا الأمـر العملـي فهـو الأمـر الـذي لا يُكلـف تطبيقـه وقتـاً وجهـداً لا طائـل مـن ورائهمـا. كل هـذه الأمـور يرجـع قرارهـا إليـك، فحتـى الخبـراء أنفسـهم قـد تكـون لديهـم آراء متضاربـة فـي منتـج مـا. وكذلـك العمـلاء تختلـف أذواقهـم مـن شـخصٍ إلـى آخـر.

مرحلة تطبيق الأفكار

حتى لو كانت لديك فكرة رائعة، قمت بتقييمها وأخذت رأي الناس فيها، فذلك لا يعني دائماً أنك ستستطيع أن تطبقها بنجاح. أحياناً، كل شيء يبدو مثالياً على الورق، ولكنه لا يكون كذلك عندما نحاول تطبيقه في الحياة الحقيقية. لكن فرص نجاح الفكرة تزداد عندما نمر بمراحل الإبداع كلها، ولا نتجاهل إحداها.

إن تطبيق الفكرة تطبيقاً ناجحاً ليس بالأمر السهل. قد تحتاج إلى المساعدة لفعل ذلك. ربما عليك أن توظف عمالاً أو مستشارين أو أن تطلب المساعدة من الخبراء في المجال. وقد تكتشف أن عليك أن تتعلم أموراً كثيرة، قبل أن تكون قادراً على تطبيق فكرتك. قد تقضي بعض الوقت تتعلم عن مواد التصنيع والتقنيات المستخدمة وطريقة سير العمل، وقد تحتاج إلى دراسة السوق دراسة وافية، لتعرف الصورة التي ينبغي أن يكون عليها المنتج أو الخدمة التي تود تقديمها.

قد تكون صاحب خبرة في مجالك، ولكن تطبيق فكرة ما يحتاج إلى خبرة في مجالات أخرى، كالتسويق والهندسة وخدمة العملاء وغيرها. قد تكون لديك خبرة في مجال واحد أو مجالين فقط. في هذه الحالة، فإما أن تحاول التعلم بسرعة، وإما أن تطلب من أحد مساعدتك في الأمور التي لا تفهمها.

مرحلة استقبال الناس للفكرة

إن وصلت إلى هذه المرحلة من مراحل الإبداع، فاعلم أنك تبلي بلاءً حسناً إلى الآن. هذه المرحلة يمكنني أن أسميها «لحظة الحقيقة»، ففيها ستعرف مدى تقبل الناس للفكرة. لقد قيَّمت فكرتك، وجربتها، ثم طبقتها، وآن أوان أن تعرف كيف سيكون وقعها على الناس.

هل قدمت شيئاً مبتكراً ومفيداً للناس ليعجبهم؟ هل استطعت الوصول إلى الفئة المستهدفة؟ إن عدم حصولك على ردود أفعال كافية في هذه المرحلة لا يعني أن فكرتك سيئة، فلربما لم تسعَ لنشر فكرتك بين الناس كما يجب. على سبيل المثال، قد لا يعلم الناس بوجود الخدمة أو السلعة التي قدمتها، لأنك لم تبذل الجهد الكافي لإخبارهم. لا تنسَ أن المواقع الإلكترونية اليوم ـ مثل موقع إيباي ـ تزخر بالسلع التي لا تعد ولا تحصى، فلا يمكن للناس أن يعرفوا كل ما هو جديد في السوق.

اسأل نفسك: هل قمت بكل ما يجب عليَّ فعله لكي يتميز منتجي عن غيره؟ وهل هو أفضل مما يقدمه المنافسون؟ وهل سعر المنتج معقول لكي يسهل بيعه؟ وهل طريقة عرض المنتج مغرية؟ على سبيل المثال، هل استخدمت ألواناً جذابة تلفت انتباه الناس، سواء في المنتج نفسه أو في الصور الإعلانية؟

وصولك إلى هذه المرحلة لا يعني أن المشكلات لن تصادفك، ولكن إن كنت مؤمناً بفكرتك، وفعلت كل ما يجب عليك أن تفعله في المراحل السابقة، فإياك الآن أن تستسلم.

ولكن، كما يقول القائل: «لديك فرصة واحدة لتترك الانطباع الذي تريد»، فإن استطعت أن تطرح إبداعك في السوق بقوة فافعل. فأنت تريد من جمهورك أو عملائك أو من يتابعك أن يُفتنوا بإبداعك ويخبروا العالم عنه، ولا تريدهم أن يمروا به مرور الكرام، ثم يلتفتوا إلى غيره. لذلك، من المهم أن تحرص على المرور بمراحل الإبداع كلها.

مرحلة التحسينات المستمرة

بدلاً من أن أخبرك صراحة بأن الإبداع ليس بالأمر السهل، أخبرتك بذلك عندما عرضت عليك مراحل الإبداع السابقة. حتى لو كنت قد طبقت فكرتك بنجاح، ولاقت استحساناً كبيراً عند الناس، فإن مهمتك لمَّا تنتهِ بعد.

لو كان الأمر كذلك، لكان الإفلاس مصير الشركات الكبرى التي يُقدر رأسمالها بملايين الدولارات. صحيح أن الفكرة هي أهم ما في الإبداع، ولكن تقييم الفكرة وطريقة تطبيقها يؤثران تأثيراً كبيراً في نجاحها. وبعد التطبيق، عليك أن تضيف تحسينات مستمرة إلى فكرتك، وتحل ما يطرأ من مشكلات، لتضمن استمرار النجاح.

يظن كثيرٌ من الناس أن التحسينات ينبغي أن تكون على المنتج نفسه أو الخدمة المقدَّمة. هذا صحيح، ولكن إن فكرت في الانتقال إلى عمل مبدع آخر، فقد تضيف تحسينات إلى هذا العمل الجديد بأن تتلافى الأخطاء التي ارتكبتها في العمل السابق. فالتحسينات، إذاً، إما أن تكون على المشروع القديم، أو على مشروع جديد تطبق فيه ما تعلمت من تجاربك الإبداعية. إن وضع حصيلة الخبرات السابقة في مشاريع جديدة هو ما يقوم به المخترعون ورواد الأعمال، ليحققوا أعظم نجاحاتهم.

قد تظن أن التحسينات المستمرة ليست مرحلة من مراحل الإبداع، وهذا خطأ. فأي مبدع يتجاهل هذه الخطوة يكون الفشل عادة من نصيبه. فكل من يريد أن تنجح فكرته عليه أن يحرص على هذه المرحلة. على

سبيل المثال، تحتاج الأعمال الفنية العظيمة إلى عناية دائمة. فالتماثيل قد تحتاج إلى ترميم، واللوحات الفنية قد تحتاج إلى إضاءة خاصة لكي تحتفظ برونقها. هذه كلها أشياء تحتاج إلى صيانة مستمرة، ليبقى العمل الإبداعي في أحسن صورة. وإهمال تلك الأعمال يعني خسارة العمل الفني، ونحن لا نريد هذه النهاية لإبداعاتنا.

الخبر السيئ: نحن نخسر ملكة الإبداع

المدارس تقلل المواد الإبداعية

«أنا أعتقد اعتقاداً لا ريب فيه أن الإبداع مهم اليوم في التعليم أهميةَ القراءة والكتابة، وعلينا أن نتعامل معه بالجدية ذاتها».

الفقرة السابقة هي قولٌ للسير كين روبنسون، وهو مستشارٌ دولي في مجال تعليم الفنون للحكومة والجهات غير الربحية، وهيئات الفنون والتعليم.

لقد قرأت في مصادر كثيرة، منها صحيفة «واشنطن بوست»، ومجلة «فوربس»، وموقع «يو إس نيوز»، وسمعت في الإذاعة الوطنية العامة (NPR) وغيرها، أن المدارس اليوم بدأت تلغي المواد الفنية، كالرسم والموسيقى، من مناهجها، وتلغي فترة الفسحة التي يلعب فيها الأطفال. يحدث هذا عادة لأن المدارس تضطر إلى تقليل مصاريفها، لتبقى ضمن الميزانية المحددة. فهي ترى، مثلاً، أن الاستغناء عن مادة الرسم، لن يؤثر في التحصيل العلمي للتلاميذ. ولكن للأسف هذا القرار له ثمنه الباهظ.

صحيح أن التلاميذ يستطيعون أن يتعلموا في المدارس من دون حصص الرسم والموسيقى وفترة الفسحة، لكن عندما يقضي التلميذ يوماً دراسياً كاملاً داخل الفصل، يتعلم ما يؤمر بتعلمه فقط، دون أن

تكـون أمامـه فرصـة لاسـتعراض مواهبـه، فـإن هـذا قـد يقتـل الإبـداع. إذاً، علـى المسـؤولين أن يجـدوا وسـيلة أخـرى تعينهـم علـى الاقتصـاد فـي المصاريـف، أو يبحثـوا عـن طريقـة يسـتطيع الأطفـال بهـا أن يسـتعيدوا مواهبهـم التـي فقدوهـا.

إن مثـل هـذه القـرارات التي تتخذهـا المـدارس لتقليـل المصاريـف، لهـا دورٌ كبيـر فـي طمـس الإبـداع لـدى الأطفـال. ويصـف السـير كيـن روبنسـون، رئيـس لجنـة الإبـداع والتربيـة والاقتصـاد فـي الحكومـة البريطانيـة، نتائـج البحـث الـذي قـام بـه قائـلاً:

«مـن بيـن 1600 طفـل تراوحـت أعمارهـم بيـن الثالثة والخامسـة، فإن 98 ٪ منهـم أظهـروا قـدرة على التفكيـر المختلـف. لكنهـم عندمـا وصلـوا إلـى سـن الثامنـة حتـى العاشـرة، فـإن تلـك النسـبة انحـدرت إلـى 32 ٪. وعندمـا طُبـق الاختبـار ذاتـه علـى مـن هـم فـي سـن الثالثـة عشـرة حتـى الخامسـة عشـرة، فـإن 10 ٪ منهـم فقـط كانـوا قادريـن علـى أن يفكـروا بطريقـة مختلفـة. أمـا عندمـا طُبـق الاختبـار علـى 200000 شـخص فـي سـن الخامسـة والعشـرين، فـإن نسـبة مـن وجدهـم يفكـرون بطريقـة مختلفـة لـم تتجـاوز 2 ٪».

التفكيـر بطريقـة مختلفـة والقـدرة علـى الإتيـان بأفـكار كثيـرة ومتباينـة همـا جـزء أساسـي مـن عمليـة الإبـداع. وقـد بيَّنـت نتائـج البحـث السـابق، بمـا لا يقبـل الشـك، أنـه كلمـا كبُـر الطفـل قـل إبداعـه. ومـن ثـم فـإن ملكـات الإبـداع تكـون قاصـرةً لـدى البالغيـن. غيـر أننـا، بـلا شـك، قـادرون علـى أن نعالـج هـذا القصـور، فنحـن نسـتطيع أن نسـترجع ملكـة الإبـداع التـي فقدناهـا. وسأشـرح ذلـك بالتفصيـل فـي الأجـزاء التاليـة.

نحن نستهلك أكثر بكثير مما ننتج

في زمن أجدادنا، يوم لم تكن لديهم تلفزيونات أو هواتف نقالة، كان عليهم دائماً أن يخترعوا ألعاباً وتسالي يستمتعون بها في أوقات فراغهم. أما الآن فلدينا منتجات لا تعد ولا تحصى، تسد كل احتياجاتنا. خذ، على سبيل المثال، شيئاً بسيطاً كمعجون الأسنان، توجد مئات الأنواع منه لنختار من بينها ما يناسبنا. هذا التنوع الكبير في البضائع جعلنا لا نفكر في أن نصنع شيئاً بأنفسنا قط. أما قبل عقود قليلة فقط، فإن الحاجة دفعت الناس لأن يكونوا مبدعين. فكانوا يخيطون ملابسهم بأنفسهم، ويصنعون الصابون بأيديهم، وإن تعطل شيء في المنزل أصلحوه ولم يستبدلوه.

غير أن استخدام المنتجات المصنعة لا يجعلنا بالضرورة أشخاصاً غير مبدعين. لكننا نقضي أغلب الوقت في استخدام إبداعات الآخرين، بدلاً من التفكير في كيفية صنعها أو محاولة صنع شيء شبيه بها. وبدلاً من أن نحاول أن نبدع نحن أيضاً، فإننا لا نكف عن الشكوى من المنتج الذي لا ينال رضانا. وعندما تزداد الشكاوي من منتج ما، فلدينا حلان لا ثالث لهما: إما أن تحاول الشركة المنتجة تدارك الأمر وإصلاح الخلل، وإما أن تقوم شركات منافسة بتقديم منتجات أكثر جودة. ولدينا كل يوم شركات مستعدة لتقديم أفضل ما عندها، والمشتري مستعد لدفع الثمن توفيراً لوقته. وعلى رغم أن هذا الأمر وفَّر علينا الوقت والجهد، فإنه أورثنا عادة البحث عن الحلول السهلة الجاهزة، بدلاً من أن يعودنا التفكير والإتيان بحلولٍ من عندنا نحن.

لا يعتمد كثيرٌ منا اليوم على نفسه، بل على غيره. نظن أننا نعتمد على أنفسنا لأن لدينا وظيفة ومُرتباً شهرياً، لكننا في الحقيقة نعتمد على الآخرين، لأننا ندفع لهم المال ليوفروا لنا ما نحتاج إليه في حياتنا. وإن حدث أن استخدمنا دواءً لم يُرضنا، أو هاتفاً نقالاً لم يعجبنا، فإن كل ما نقوم به هو أن ننتظر أن توفر لنا الشركة المصنعة خياراً أفضل. صحيح أن هذه الشركات تملك من المال ومن الخبرة ما يمكنها من أن تقدم لنا ما نحتاج إليه، إلا أن اعتمادنا الكبير عليها جعلنا نعيش حياة تفتقر إلى الإبداع. أصبحنا مقتنعين بأنه لا يمكننا أن نصنع شيئاً بأنفسنا، وهذا غير صحيح.

لكي أصور لكم حجم المشكلة، دعونا نتخيل أن الشباب اليوم لا يعنيهم أن يعرفوا كيف تُصنع الأشياء. فكل ما يعنيهم هو أن يستخدموا الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر، غير عابئين بالآلية التي تعمل بها تلك الأجهزة، أو كيف يمكن تطويرها. ومع مرور الوقت، لن نجد شخصاً واحداً يعرف كيف يصنع جهازاً أو يصلحه. وشيئاً فشيئاً، فإن كل الأجهزة ستتعطل، ولن تجد من يصلحها أو يصنع غيرها. صحيح أن هذا المثال مبالغ فيه، ولكني أريد من ورائه أن أقول: إننا نحتاج إلى أن ننمي ملكة الإبداع عندنا، ونفهم طريقة صنع الأشياء التي نستخدمها، ونحاول تطويرها، وإلا فإن الجنس البشري سيعود مرة أخرى إلى عصور التخلف.

والأمر هنا لا يخلو من المفارقة. ففي الوقت الذي تضمحل فيه ملكات الإبداع عندنا، تُبدع الشركات الكبيرة لتقدم لنا الحلول الذكية التي نحتاج إليها. تلك الشركات تتقاضى أموالاً من أجل أن تبدع وتحل لنا مشكلاتنا. وكلما زاد إبداع تلك الشركات، قل إبداع الناس في حياتهم اليومية. فالناس يرون أن من حقهم أن يستمتعوا بحياتهم، ما دام لديهم من يتولى تقديم حلولٍ ذكية لهم.

إذاً، الإبداع موجود، لكنه منحصر في جماعة قليلة من الناس، يُعطى لهم المال ليبدعوا. هؤلاء هم الأشخاص الذين يعملون في شركات التصنيع الكبرى.

لكن لم نجعل الإبداع حكراً على هؤلاء؟ لم نعتمد على أولئك الذين يقدمون حلولاً جماعية، لا حلولاً تتلاءم مع ما يريده كل شخص منا على حدة؟ أنت وحدك من يعرف ما تريد على وجه الخصوص، وأنت من يجب أن يُبدع ليوجد حلولاً تلائمه.

عندما يزيد مستوى الإبداع في حياتنا، سينعكس ذلك علينا بالإيجاب. سنكون أكثر صحة وحيوية، عندما نصنع طعامنا الصحي بأنفسنا. ستزيد ثقتنا بأنفسنا، ويقل اتكالنا على غيرنا، عندما نكون قادرين على صنع أشياء تناسب احتياجاتنا نحن، سيغمرنا شعور بالمتعة لأننا قادرون على تسلية أنفسنا بأنفسنا، بدلاً من البحث عن التسلية في الأشياء التي يصنعها الآخرون لنا.

أشخاص مُبَرمجون لا مبدعون

في العمل، وفي الحياة عامةً، فإن كل ما يثبت كفاءته، يحظى باهتمام وتقدير، وهذا أمر طبيعي. فباستخدام أنظمة أثبتت فاعليتها، ينجز الموظفون اليوم أعمالاً أكثر في وقت أقل. ولكن ضع في حسبانك أن الأنظمة التي تعتبر فعالة اليوم، قد لا تكون بالفاعلية ذاتها غداً. فقد يأتي شخصٌ مبدعٌ بأسلوب عمل أكثر كفاءة من الأساليب المتبعة الآن.

في كثير من بيئات العمل الحديثة، يُتَوقع من الموظف أن يستخدم الأنظمة التي أثبتت كفاءتها، بدلاً من التفكير في الإتيان بنظام جديد. فصار الجميع يتبع النمط ذاته. وبدلاً من أن يرغب الموظف في أن يبدع شيئاً بنفسه، أصبح يعتمد على قلة من المبدعين الذين أوكلت إليهم هذه المهمة. أصبح المرء يتهيب أن يبدع شيئاً جديداً، ولا لوم عليه، ففي بيئات العمل التي لا تُشجع الإبداع، يخشى الموظف الطرد من الوظيفة إن فكر في أن يأتي بشيءٍ جديد. إن لهذا المنطق في العمل ثمنه الباهظ، فهو يقتل ملكة الإبداع في الموظف شيئاً فشيئاً، حتى تنطمس تماماً.

وعلى رغم أن الإبداع أمرٌ بالغ الأهمية، فإن له تبعاته في العمل. فالمسؤول قد ينظر إلى أي فكرة جديدة يأتي بها الموظف على أنها تهديدٌ لسلطته. على سبيل المثال، إن جاء موظفٌ صغير في العمل بفكرة عظيمة، من شأنها أن تحدث تحسينات كبيرة في المؤسسة، فهل ستتم ترقية هذا الموظف ليحل محل مديره؟ ربما، لكنه أمرٌ بعيد الحدوث. الأفكار الجديدة قد تجعل الأنظمة التي تعارف عليها الناس موضع شك، مما يضع المسؤولين الذين سنوا استخدامها في موقف لا

يحسدون عليه. لذلك عندما تأتي بفكرة جديدة، توقع أن تواجه مقاومة من الأشخاص الذين اعتادوا طرقاً معينة في العمل، لأنهم لا يحبون التغيير، أو لأنهم يرون في فكرتك تهديداً لمناصبهم.

إن الإبداع أمرٌ رائع، لكن قبل أن تطرح فكرة جديدة، اسأل نفسك: ما ردات الفعل التي أتوقعها للفكرة؟ إن توقعت أن تلاقي فكرتك استحساناً، فلا تتردد في الإفصاح عنها. أما إن توقعت أن فكرتك ستقابل بالرفض، فَتَأَنَّ إلى أن يأتي الوقت المناسب لطرحها. عليك أن تعي أن الحصول على أفضل نتائج ممكنة هو أولوية لأي مؤسسة. إن كان بإمكانك أن تثبت أن فكرتك الجديدة ستجعل المؤسسة تحقق نتائج أفضل، فهذا سيقنع مسؤوليك بأنها تستحق التجربة.

دائماً ما نستعجل الإجابة

شـيءٌ جميـل أن نقـرأ وأن نتعلـم. وعندمـا نتعلـم لا بـد أن نحتـاج إلـى البحـث عـن إجابـات لأسـئلة تـراود عقولنـا. لكننـا فـي بعـض الأحيـان نتعجـل البحـث عـن إجابـات الأسـئلة التـي لدينـا، دون أن نحـاول التفكيـر فيهـا. علـى سـبيل المثـال، عندمـا يواجهـك سـؤال مثـل: «كـم يبلـغ ارتفـاع جبـل إفرسـت؟»، أرى أنـه مـن الممتـع أن تحـاول أولاً أن تخمـن الإجابـة. مثـلاً، ربمـا تعـرف ارتفـاع بـرج إيفـل، أو ارتفـاع مبنـىً آخـر، أو متوسـط ارتفـاع ناطحـات السـحاب، بمـا يجعلـك قـادراً علـى أن تخمـن الإجابـة. وبعـد أن تكـون قـد فكَّـرت في أجوبـة منطقيـة للسـؤال، يمكنـك أن تبحـث عـن الإجابـة لتتأكـد مـن صحـة إجابتـك.

لحل المشكلات المرتبطة بالإبداع، عليك أولاً أن تستخدم عقلك في البحـث عـن حلـول للمشـكلة. حـاول أن تضـع قائمـة بالحلـول المقترحـة، بـدلًا مـن البحـث عـن إجابـة سـريعة فـي «غوغـل». ينبغـي أن تسـاعدك محـركات البحـث فـي جمـع المعلومـات التـي تحتـاج إليهـا فقـط، لا فـي الإتيـان بحلـول لمشـكلاتك. إن اعتـدت الاعتمـاد علـى محـركات البحـث لتقـدم لـك حلـولاً جاهـزة، فإنـك مـع الوقـت سـتفقد قدرتـك علـى الإبـداع.

وأمـا أنـا، فثَّمـة سـبب آخـر يجعلنـي لا أفضـل اسـتخدام «غوغـل» فـي البحث عـن إجابـات لأسـئلتي. فلقـد وجـدت أنـي كلمـا بحثـت عـن أفكار في «غوغـل»، صعُـب عليَّ أن أفكـر خـارج نطـاق الأفكار التي يقدمهـا لـي. عندمـا يجعلنـي محـرك البحـث أفكـر فـي اتجـاه واحـد، يصعـب علـيَّ أن أحـرر ذهني لأفكـر فـي اتجاهـات أخـرى.

على سبيل المثال، إن كان عليَّ وضع قائمة بأسماء حيوانات، فبحثت عنها عبر محرك البحث، ووجدت هذه القائمة: «كلب، قط، يربوع، هامستر، ببغاء..» فإن ذهني لا شعورياً سيحصر تفكيره في الحيوانات الأليفة لا غير. قد لا أفكر في الحيوانات الأخرى التي لا تُربى في المنازل، كالخفافيش والأسود والفيلة والتماسيح وغيرها. هذا الأمر يؤثر سلباً في الإبداع بلا شك، لأن الإبداع يقتضي ألا نحصر تفكيرنا في إطارٍ واحد فقط. وإن كان لا بد لي من أن أستخدم «غوغل»، فإني أكتب إجاباتي المقترحة أولاً، ثم أستخدمه لأقارن أفكاري بالأفكار التي يقدمها لي محرك البحث.

المشكلة الأخرى مع محركات البحث هي أن النتائج الكثيرة التي تقدمها لي تخمد حس الإبداع لديَّ، فهي تعرض لي مئة طريقة وطريقة لحل مشكلة ما. والوقت والجهد اللذان أبذلهما في قراءة كل تلك النتائج يستنزفان طاقتي ويجعلاني أفقد القدرة على الإتيان بأفكارٍ من عندي.

لكن عليَّ أن أكون منصفاً وأقول إن محرك «غوغل» هو محرك بحث موثوق ودقيق، والشركة تسعى دائماً لتزيد من مستوى كفاءته. على سبيل المثال، إن بحثت في «غوغل» عن إجابة لسؤال ما، فإنك ستحصل على إجابات كثيرة تتصدرها الإجابة المثلى في الأعلى. حتى إن هذه الإجابة تكون من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى أن تضغط على أي رابطٍ لتقرأها. فبذلك تحصل على أي معلومة تريدها بسرعة ومن دون أي جهد يذكر. محركات البحث هي وسيلة سريعة وسهلة الاستخدام، ولكنها وسيلة سهلة أكثر مما ينبغي، فهي تجعلك لا تجهد نفسك بتاتاً، بل تعطيك ما تبحث عنه على الفور. وللأسف، بسبب اعتيادنا عدم التفكير والوثوق بنتائج محركات البحث، فإننا نادراً ما نشك في صحة أي نتيجة نحصل عليها. قد تقول لنفسك: «ما دام غوغل يقول ذلك، فلا شك أن الإجابة صحيحة». ولكني أعيد وأكرر بأن هذا الأسلوب يُقيد قدراتنا الإبداعية،

لأننا نكتفي بالنتائج التي نحصل عليها من محركات البحث. فنحن نفترض أن إجابة «غوغل» هي الإجابة المثلى، وهذا صحيح... إلى أن يأتي شخص مبدع ليثبت خطأ هذا الادعاء.

بالطبع أنا أستخدم «غوغل»، وأرى أنه محرك بحث رائع وفعال. ما أريد قوله هو أن علينا نحن أيضاً أن نساير التكنولوجيا، ونتطور كما تتطور هي. نحتاج إلى استخدام تلك الوسائل بطريقة تجعل عقولنا أكثر قوة ومرونة، بدلاً من أن نجعلها متبلدة، معتمدة تماماً على تلك التقنيات. لا أقول لك لا تستخدم «غوغل»، بل استخدمه، ولكن لا تسمح له ـ ولا لأي محرك بحث آخر ـ بأن يحد من قدراتك الإبداعية.

من أمثلة اعتمادنا المبالغ فيه على التكنولوجيا استخدامُنا الآلة الحاسبة. لقد فرحنا بهذا الاختراع في بداية ظهوره، لأنه وفَّر علينا الوقت الذي يحتاج إليه عقلنا للقيام بالعمليات الحسابية. ولكني أذكر، عندما كنت في المدرسة، أنه كان معي تلاميذ غير قادرين على القيام بالعمليات الحسابية البسيطة، دون استخدام الآلة الحاسبة. كانوا معتمدين اعتماداً كلياً عليها. وفي أحيانٍ كثيرة، لم يستطيعوا القيام بعمليات الضرب والقسمة المطوَّلة باستخدام أيديهم. ومن الاختراعات الأخرى التي وفَّرت علينا الوقت والجهد المعجم. فعلى الرغم من أنه وسيلة رائعة للبحث عن معنى الكلمة ومرادفاتها، فإن الثمن كان أننا فقدنا قدرتنا على الإتيان بمرادفات كلمة ما دون استخدامه. المشكلة أن الاعتماد المبالغ فيه على تلك الوسائل وغيرها يقيد من قدراتنا الإبداعية، ولا سيَّما إن لم نحاول أولاً أن نفكر لنأتي بأجوبة من عندنا نحن.

أظن الآن أن الفكرة قد وضحت لكم بعد هذا الشرح المطول، ولقد أسهبت في شرح المشكلة ـ مشكلة أننا دائماً نستعجل الإجابة ـ لأنها ظاهرة منتشرة في العالم اليوم، ولا أظن أن الوضع سيتغير في المستقبل القريب.

الخبر السعيد: نحن أكثر إبداعاً مما نظن

الإبداع موجود في الجنس البشري، موجود في جيناته

أريـد أن أعـرض هنـا نمـاذج لبعـض إبداعـات البشـرية علـى مـر التاريـخ، بـدءاً مـن الماضـي السـحيق إلـى اليـوم. ذلـك لتعلـم أن لنـا تاريخـاً طويـلاً زاخـراً بالإبـداع.

منذ 2.6 مليون سنة: صنع الأدوات الحجرية

منذ مليون سنة: اكتشاف النار

منذ 170 ألف سنة: صنع الملابس

منذ 100 ألف سنة: تخصيص مقابر لدفن الموتى

منذ 40 ألف سنة: الرسم في الكهوف

منذ 30 ألف سنة: استئناس الكلاب

منذ 28 ألف سنة: صنع الحبل

منذ 13 ألف سنة: الزراعة

8000 سنة قبل الميلاد: بناء مستوطنات دائمة في صورة مدينة

3500 سنة قبل الميلاد: استئناس الخيول

3500 سنة قبل الميلاد: اختراع العجلة

3000 سنة قبل الميلاد: الكتابة

2600 سنة قبل الميلاد: بناء الأهرامات

1700 سنة قبل الميلاد: اختراع الحروف الأبجدية

400 سنة قبل الميلاد: اختراع المرآة

القرن التاسع: اختراع البارود

القرن الثالث عشر: صنع الصابون

سنة 1440: اختراع آلة الطباعة

سنة 1798: تحضير أول لقاح للجدري

سنة 1804: إنشاء أول سكة حديد

سنة 1876: اختراع الهاتف

سنة 1879: اختراع المصباح الكهربائي

سنة 1885: صنع السيارة

سنة 1903: أول رحلة طيران ناجحة

سنة 1915: صنع الدبابة

سنة 1927: اختراع التلفاز

سنة 1946: صنع الكمبيوتر الرقمي

سنة 1968: اختراع نظام العالم الافتراضي

سنة 1969: هبوط الإنسان على سطح القمر

سنة 1970: اختراع حاسبة الجيب

سنة 1971: صنع الكمبيوتر الشخصي

سنة 1971: إنشاء البريد الإلكتروني

سنة 1983: اختراع الطابعة الثلاثية الأبعاد

سنة 1989: إنشاء الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)

سنة 1994: إنشاء موقع أمازون

سنة 1997: تفوق الروبوت (ديب بلو) على لاعب الشطرنج العالمي غاري كاسباروف في بطولة عالمية

سنة 1997: هبوط عربة «مارس روفر» بنجاح على سطح المريخ

سنة 2004: إنشاء موقع فيسبوك

سنة 2005: إنشاء موقع يوتيوب

سنة 2007: صنع جهاز الآي فون

سنة 2011: اختراع كمبيوتر الذكاء الاصطناعي «آي بي إم واتسون»

سنة 2012: اختراع سيارة «غوغل» الذاتية القيادة

سنة 2022+: شركة «سبيس إكس» الفضائية تخطط لإرسال بشر إلى المريخ

لمَ كل هذا الإبداع في الجنس البشري؟

أظن أن هذا السؤال قد يخطر على بال أي شخص يستعرض إنجازات البشرية التي سردتها، على رغم أن النموذج الذي عرضته مختصر جداً، ولا يضم كل إنجازات البشرية على مر التاريخ. لقد جاء الإنسان بكثير من الاختراعات التي لا تعد ولا تحصى، بعضها بسيط، وبعضها غيَّر وجه العالم.

إن سألتني: لم كان أسلافنا مبدعين إلى هذا الحد؟ فإني لا أملك الإجابة الأكيدة، لكني أعزو الأمر إلى عدة أسباب. وإن كنتَ قد قرأتَ يوماً عن الأسباب التي ميزت الإنسان عن باقي المخلوقات، فستجد الأسباب التي سأذكرها الآن مشابهة لتلك التي قرأتَها.

الأمر الأول هو هذا العقل البشري. إن التطور الطبيعي الذي طرأ على عقل الإنسان ـ على مر العصور ـ ساعده على أن يكون أكثر إبداعاً من باقي المخلوقات. فالقدرة على التخطيط، وتخيل الأشياء في الذهن واستحضارها، لها دور كبير في الإبداع. ومن المعتقد أن الإنسان في الماضي طوَّر لديه تلك الملكات، ليستطيع التعايش مع ما حوله. ولن أخوض هنا في الحديث عن علم الأعصاب، لكنني مؤمن بأن تطور العقل البشري هو الذي منحنا القدرة الأساسية على أن نكون مبدعين[1].

الأمر الثاني هو أحبالنا الصوتية. فالقدرة على الكلام ـ بمساعدة الدماغ ـ أمر بالغ الأهمية، إذ بالكلام نتبادل الأفكار. وتبادل الأفكار

---

(١) راجع رأي الإسلام في نظرية التطور (المترجمة).

ودمج بعضها في بعض له دور كبير في الإبداع. كذلك فنحن نستطيع أن نعطي بعضنا بعضاً ملاحظات من شأنها أن تحسن مستوى الإبداع لدينا. فعدم قدرتنا على التعبير عن أفكارنا أمر محبط في حد ذاته، وكثير من المشاريع المبدعة تتطلب أكثر من شخص ليقوم بها، وهؤلاء الأشخاص بحاجة إلى أن يتحدثوا ويتبادلوا الأفكار، وإلا فإن العمل لن يتم.

الأمر الثالث هو أن الطريقة التي صُممت بها أيدينا تساعدنا على تناول الأشياء وتقليبها. وهذا أمر بالغ الأهمية، إذ يساعدنا على تحويل أفكارنا إلى واقع ملموس. صحيح أننا نستطيع أن نكون مبدعين، حتى وإن لم تكن لنا أيدٍ، ولكن الأمر قد يكون محبطاً أحياناً. فقد يكون لنا خيالٌ واسع وفكرٌ نيّر نستطيع بهما أن نحل ما يعترضنا من مشكلات، ولكن بلا أيدٍ تعيننا، سيكون صعباً ـ من الناحية العملية ـ أن نحول تلك الأفكار إلى حقيقة ملموسة.

الأمر الرابع هو اختراع آلة الطباعة. فإذا تأملنا الماضي القريب، سيظهر لنا أن اختراع يوهان غوتنبرغ لآلة الطباعة (في سنة 1440) ساهم كثيراً في نشر المعلومات. فأنت بحاجة إلى حد أدنى من المعلومات لتتمكن من صنع شيء ذي معنىً، وآلة الطباعة ساهمت في وصول المعلومة لكل من أرادها. فبعد اختراعها، أصبحت المعلومات تسافر من مكان إلى مكان بين دفتي كتاب. والفائدة الكبرى من ذلك هي أننا أصبحنا لا نحتاج لأن نستقي المعلومات من صاحبها مباشرة، بل ربما يكون الشخص قد مات، لكن أفكاره مكتوبة متداولة بين الناس. صحيح أن الكتب كانت موجودة قبل اختراع آلة الطباعة، ولكن هذا الاختراع ساهم كثيراً في سرعة طباعة الكتب وتوزيعها لعدد أكبر من الناس.

الأمر الخامس هو كل التقنيات الحديثة، كأجهزة الكمبيوتر والهواتف

الذكية وشبكة الإنترنت التي أحدث طفرة معلوماتية، فأصبح لدينا كم هائل من المعلومات لا يكفي العمر كله للإحاطة بجزء يسير منه. صارت الكتب والمقالات والمقاطع التعليمية المصورة والمراجع متوفرة لكل من أراد التعلم. كذلك فإن الإنترنت مكَّنت الناس في كل أرجاء العالم من أن يتواصلوا ـ بضغطة زر ـ بعضهم مع بعض، ويتبادلوا الأفكار. لم يقتصر أثر هذه الشبكة العالمية على إتاحة المعلومات للجميع فحسب، بل إنها مكَّنت الناس من أن يجدوا حلولاً مبدعة لمشكلاتهم أيضاً.

الأمر السادس هو المساعي الحثيثة لجعل الإنترنت شبكة عالمية متاحة للجميع. فعلى الرغم من أننا نُطلق على الإنترنت لقب الشبكة العالمية، فإن الإحصاءات تشير إلى أن اثنين من كل ثلاثة أشخاص في العالم لا تتوفر لهم خدمة الإنترنت. وتتنافس اليوم كثيرٌ من الشركات والمؤسسات لحل تلك المشكلة، فيما يسمى بسباق الإنترنت الفضائي.

فمشروع «لون» الذي أنشأته شركة «غوغل»، يقوم على إرسال مناطيد إلى الفضاء الخارجي، من أجل توفير خدمة الإنترنت لسكان المناطق النائية. كذلك فإن شركة «فيسبوك» تخطط لإرسال طائرات من دون طيار من أجل توفير خدمة الإنترنت في مناطق أكثر من العالم. وتنوي شركة «سبيس إكس» الفضائية إطلاق أقمار صناعة لأجل الهدف نفسه. مع كل هذه الشركات التي تتسابق اليوم لتقديم خدمة الإنترنت بأسعار منافسة، فمما لا شك فيه أن مقداراً هائلاً من المعلومات سيكون متاحاً في القريب العاجل للأغلبية العظمى من البشر في العالم. أجل، المعلومات وحدها لا تصنع الإبداع، ولكن توافر المعلومات والاطلاع على أفكار الآخرين هما أولى خطوات الإبداع. بغير ذلك، سيصعب على المرء أن يبدع، لأنه سيكون معزولاً عن التطور الذي يشهده العالم حوله.

الأمر السابع والأخير، والذي لمَّا يحدث بعد، ولكني أظن أنه سيكون الخطوة المقبلة التي سترفع مستوى الإبداع عند البشر، ألا وهو استخدام العقاقير الذكية (أو ما يسمى بالمنشطات الذهنية). وقد يتطور الأمر إلى تركيب شريحة في الدماغ لتعزيز القدرة على الإبداع. لكني أظن أن هذا الاختراع قد يظهر في البداية ليعزز مستوى الذكاء عند البشر، لا ليعزز الإبداع. في الوقت الحالي، الأمر لا يتعدى أن يكون خيالاً علمياً.

الأحلام دليل على أننا مبدعون

كلنا يحلم، وهذا يستنزف منا طاقة إبداعية. تبدو الأحلام آنية عندما نراها، بمعنى أن الأحداث كلها تحدث في وقت واحد. فأنت لا تكتب نصاً تحدد فيه مجرى الأحداث في الحلم الذي تود أن تراه، بل تأتي الأحلام وكأنها كُتبت ونُفذت على الفور. فلنتأمل معاً مشهداً من حلم: في أحلامي، يوجد عادة بيئة محيطة، كما هي الحال في الحياة الحقيقية، كأن أكون في المنزل أو في سيارتي أو في الحديقة أو في الغابة، أو في مكان غير ذلك. وكما هي الحال في الحياة، قد أكون وحدي، أو قد أكون مع مجموعة صغيرة أو كبيرة من الناس. وغالباً ما توجد قصة أو حبكة درامية في الحلم، كأن يكون أحدهم قد تعرض لهجوم، أو أكون أبحث عن شخص ما أو شيءٍ أحتاج إليه، أو قد أكون في حفلة مع أصدقائي، وهكذا.

وهذا الأمر ممتع لي، لأنه في الحياة الحقيقية يصعب حدوث أشياء كثيرة في وقت واحد كما في الحلم. فهل تستطيع في الحياة أن تحيط بكل الأمور في وقت واحد؟ هل تستطيع أن تحيط بكل من في الغرفة، كل ما يُقال أو يُفعل، وكل ما قد يكون في ذهنك من أفكار وتأملات؟ إن كنت تستطيع ذلك، فأنا لا أستطيع. وحتى إن استطعت أن تحيط بذلك كله، فهل يمكنك أن تجمعه كله في عقلك بطريقة تحاكي الحلم؟ وهل تستطيع أن تفعل ذلك من دون أن تتوقف هنيهة لتفكر في الكلام الذي سيقال أو فيما قد يحدث؟ ففي الحلم يحدث كل شيء بسرعة ومن دون توقف. أظن أنك ستقول لي الآن: «لا أستطيع أن أفعل ذلك»، ولكني

سأقول لك: «بل تستطيع، فأنت تفعل ذلك كل ليلة في أحلامك». أثناء نومنا، جل طاقة الدماغ تكون مستخدمة في الحلم، أما في اليقظة، فإننا نستخدم الدماغ في أمور أخرى، كالتخطيط للأعمال التي نود إنجازها خلال اليوم ثم إنجاز تلك الأعمال.

نحن نبدع كل يوم، أو بالأصح كل ليلة. وإن كنت تحتاج إلى ما يذكرك بهذه الحقيقة، فقم كل صباح بتدوين حلمك، فور استيقاظك. قد تطلق الأحلام شرارة الإبداع عندك، لأنها حصيلة التفكير اللاواعي، فهي تحلق يميناً وشمالاً غير مقيدة بالقيود التي يقيدنا بها العالم الحقيقي.

عندما كنا أطفالاً، كانت قدرتنا على الإبداع كبيرة

قد يكون من الصعب أن تعود بذاكرتك إلى الوراء لتتذكر طفولتك، ولكن من المحتمل أن خيالك الواسع في الطفولة قد سبب الكثير من العنت لوالديك. فمعروف أن الأطفال يكون لهم أصدقاء وهميون، والقدرة على تقمص شخصيات مختلفة (شخصية الأميرة للفتيات أو شخصية الشرطي للفتيان)، وأحياناً يتخيلون قصصاً لم تحدث، لا لشيءٍ سوى شعور المتعة الذي يولده ذلك الخيال.

أما أنا، فما زلت أذكر شيئاً من طفولتي، وما زلت إلى الآن مندهشاً من القدرة الإبداعية لطفلة كانت تصغرني في السن. كان ذلك عندما كنت في العاشرة من عمري، وتركني والداي لألعب مع طفلة لا تتجاوز السادسة من عمرها. وأذكر جيداً أني كنت منزعجاً من الجملة التي كانت ترددها على مسامعي آنذاك، وهي: «ما رأيك في أن نتخيل أننا...». في سن العاشرة لم يكن يستهويني ذلك العالم الخيالي الذي كانت تعيش فيه تلك الطفلة، لربما كانت تلك اللعبة لتروق لي أكثر لو كنت في مثل سنها، في السادسة من عمري. وأذكر أن صديقة أمي طلبت مني ألا أنزعج من خيالات تلك الطفلة؛ لأني كنت مثلها تماماً عندما كنت في مثل عمرها. أظن أن الرغبة في التخيل والإبداع والخروج عن المألوف أمرٌ طبيعي في تلك السن المبكرة. وهذه السمة تبدأ بالاضمحلال عند أكثرنا كلما تقدمت بنا السن، أو على الأقل تأخذ منحىً آخر.

الأطفال لديهم ملكة الإبداع بالفطرة. غير أن تلك الملكة ينقصها

الجانب التقني. لذلك إن أردنا أن نبدع حقاً فينبغي علينا دمج الطريقة التي يفكر بها الكبار بتلك التي يفكر الأطفال بها.

الأطفال مبدعون، يصنعون عالمهم الخاص بهم ويتخيلون شخصياته، وهم قادرون على اختلاق قصصٍ وحكاياتٍ بكل سهولة. أما الكبار فهم منظمون جداً، ويبحثون دائماً عن حلول مفيدة، ولا يهمهم إن كانت تلك الحلول مبتكرة أم لا. وكما ذكرنا آنفاً، فإن الحلول المبدعة حقاً يجب أن تكون حلولاً مبتكرة ومفيدة في الوقت ذاته. خُلق الأطفال ليكونوا مبدعين إلى أقصى حد، ولكن خبرتهم المحدودة في الحياة تجعلهم غير قادرين على تقديم حلول ذات فائدة. الابتكار سهل على الصغار عادة، صعب على الكبار. ولكن من الناحية الأخرى، فإن خبرة الكبار تؤهلهم لتقديم حلول مفيدة، أما الأطفال فلا خبرة لهم تجعلهم يحكمون على حلٍ من الحلول أمناسبٌ هو أم غير مناسب.

إن كنت محتاجاً إلى من يقنعك بأنك تملك ملكة الإبداع، فسأطلب منك أن تحاول تذكُّر طفولتك. ألم تلعب في طفولتك ألعاباً مثل لعبة المصارعة أو لعبة الشرطي والحرامي أو غيرها؟ ألم تتخيل وجود وحوش وأشياء غريبة؟ ألم تمارس هواية الرسم؟ حاول أن تتذكر! أنا واثق بأنك ابتكرت لعبة ما، ولكنك نسيتها بمرور الأيام. إنَّ تذَكُّرنا تلك الأمور يجعلنا نوقن بأننا جميعاً نملك حس الإبداع بفطرتنا. فلا تجعل هدفك أن تتعلم كيف تبدع، بل كيف تسترجع ملكة الإبداع التي كانت لديك وفقدتها بمرور السنين.

نصائح بسيطة وفعالة تجعلك أكثر إبداعاً

النصيحة الأولى: تغلب على خوفك من المجابهة بالرفض

ثمَّة شيء يمنع الكثيرين منا من أن يبدعوا، بل قد يمنعهم حتى من أن يخطوا خطوة البداية، ألا وهو الخوف. نحن جميعاً نود أن نكون محبوبين، ولأننا لا نحب أن نتعرض للنقد، فإننا نحاول جاهدين ألا نشذ عن البقية. ولكن إبداع شيء ما أو الإتيان بفكرة جديدة يقتضي عرضها على الناس لتقييمها؛ لذلك فإن الشخص المبدع لديه دائماً ما يقدمه، ثم يترك للناس مهمة التقييم. فمنهم من سيثني على العمل، ومنهم من سينتقده، وهذا النقد هو ما يجعل أكثر الناس يتخوفون من أن يخطوا خطوة البداية.

قد لا يمثل هذا الأمر مشكلة لك، ولكن يجب عليَّ أن أتحدث عنه، لأني أعلم أنه يشكل عائقاً كبيراً لكثير من الناس.

إحدى الطرق التي تجنبك الخوف من الرفض هي أن تقي نفسك الانتقادات. أنا لا أنصح باتباع هذه الطريقة على المدى الطويل؛ لأني أرى أنه من الأفضل أن تتعلم كيف تتغلب على مخاوفك لا أن تتجنبها. غير أن النصيحة هنا هي ألا تتسرع بالإفصاح عن مشاريعك الإبداعية. فكرتك في البداية تكون غير مكتملة المعالم، ولذلك فمن المرجح أن الشخص الذي ستخبره عنها سيبدأ بتحبيطك، ويُظهر لك ـ على الفور ـ الثغرات الموجودة فيها. وهذا ما قد يجعلك تشك في قدراتك وفي فكرتك، وتتراجع عن المضي في تنفيذها. قبل أن تتسرع في الإفصاح

عن فكرتك، استثمر وقتاً أكبر في دراسة مشروعك، واجمع معلومات أكثر عن الموضوع، بلور أفكارك، وحاول أن تفكر في الانتقادات التي يمكن أن تواجهها. قم بذلك كله ثم اعرض فكرتك على العالم.

على المدى القصير، قد تُوفَّق في تجنب الانتقادات. ولكن على المدى الطويل، أنصحك بأن تحاول التغلب على خوفك من النقد. ينبغي عليك أن تتقبل الانتقادات؛ لأنها ستساعدك في الارتقاء بعملك. أنت تحتاج ـ بالطبع ـ إلى كلمات التشجيع التي تدفعك إلى الأمام، ولكنك بحاجة أيضاً إلى النَّقد الذي سيجعلك تحسن من أفكارك. تذكر دائماً أن النَّقد في حقيقته مفيد، فهو يجعلك تتطور فيما تقوم به.

حتى إن كانت فكرتك سيئة بالفعل، وكنت تسير في الاتجاه الخطأ، فتذكر أنه يمكنك دائماً أن تأتي بأفكار جديدة. وحتى إن قُوبلت فكرتك بالرفض، فهذا لا يعني بالضرورة أنها فكرة سيئة، قد يكون من رفضها هو من أخطأ في تقييمها، أو قد تكون الفكرة تحتاج إلى بعض التعديلات فقط لتصير ملائمة أكثر. وفي الصفحات التالية، ستتعلم كيف تأتي بأفكار جديدة في أي وقت، فإن فشلت إحداها، سيكون لديك الكثير غيرها، وهذا وحده كفيل بأن يقلل من خوفك من أن تُجَابَه بالرفض أو أن تواجِه الفشل.

النصيحة الثانية: تعلم بانتظام أشياء جديدة من مصادر مختلفة

إن تجربة الأشياء الجديدة هي ما يساعدنا على الإبداع. إذاً، سيكون من المفيد لك أن تقبل الفرص التي تصادفك، وإياك أن ترفضها مباشرة قبل أن تتروى في الأمر. قبل أن ترفض فرصة ما، اسأل نفسك: ما الذي سأخسره إن جربت؟ وما الذي سأستفيده؟ أحياناً قد تشعر بأنك غير مستعد لتجربة شيء جديد، ولكن اسأل نفسك: هل توجد حقاً أي جوانب سلبية لهذه التجربة؟ ماذا لو كانت التجربة ممتعة إلى أقصى حد وتعلمت منها أشياء جديدة؟ إن الأشياء الجديدة التي نجربها قد تكون في الحقيقة نواةً لأفكار مبدعة. كل شيء جديد تراه أو تجربه هو مصدر إلهام لك لتأتي بأفكار أكثر.

كذلك، فإن القراءة في شتى المجالات لها فائدتها العظيمة، فأحياناً ستتعلم شيئاً قد تتمكن من تطبيقه في مجال مختلف تماماً عن المجال الذي قرأت فيه. لذلك أنصحك بالتنويع في قراءاتك، اقرأ كل شيء، الكتب والجرائد والمجلات، وغيرها. ومن المصادر الأخرى التي قد تستلهم منها أفكاراً: مشاهدة الأفلام الأجنبية، والسفر، والاستماع إلى الموسيقى بكل أنواعها. كما ترى، فإنك كلما جربت شيئاً جديداً، حصلتَ على أفكار أكثر.

النصيحة الثالثة: لا تختلق لنفسك الأعذار

عندما تجد نفسك عاجزاً عن التفكير، إياك أن تقول: «أنا عاجز عن الإتيان بأي فكرة، لذا ينبغي أن أقوم بعمل آخر»، فالمثابرة هي أساس النجاح في القدرة على الإتيان بالأفكار. ينبغي عليك أن تشحذ همتك قليلاً، وتقاوم أي رغبة عندك في الاستسلام. ثمَّة أوقات ستجد فيها أن الأفكار تنهال عليك انهيالاً، وأوقات أخرى لا تكاد تجد فكرة تطرأ على بالك. في الأوقات التي تشح فيها أفكارك، كن مستعداً لأن تبذل جهداً أكبر.

حين تسمح لنفسك بالاستسلام سريعاً، فأنت ترسل إلى نفسك رسالة مفادها: أنا غير مبدع. وهذا سيجعلك تقتنع بأنك غير قادر على التفكير في أي شيء، وأن ذهنك منغلق تماماً، وهذه ليست الطريقة السليمة للتعامل مع الوضع. عليك أن تستمر في المحاولة حتى تنهال عليك الأفكار مرة أخرى، وتعلم أنك ما زلت مبدعاً.

من تجربتي، أستطيع أن أقول: إن الإتيان بالفكرة الأولى هو الخطوة الأصعب. بعد ذلك ستنثال عليك الأفكار انثيالاً، فتتدفق كالنهر الجاري. فالفكرة المبتكرة ستوحي لك بفكرة مبتكرة أخرى وهكذا إلى أن تتكون عندك سلسلة من الأفكار، وهذا لن يحدث إن ركنت إلى الاستسلام بعد دقيقة أو دقيقتين من التفكير.

في البداية، أقترح أن تخصص عشر دقائق تحاول فيها أن تأتي بمئة فكرة أو أن تأتي بأكبر قدر ممكن من الأفكار. عندما تنتهي الدقائق العشر، أو عندما تجمع المئة فكرة، تكون المهمة الأولى قد انتهت. وأثناء ذلك الوقت، لا تبرح مكانك، وحاول التركيز، واطرد أي خاطرة

مفادها أن ذهنك منغلق، أو أنك عاجز عن التفكير. ركز على المهمة التي لديك لا غير.

قد يبدو هذا الأمر صعباً لأول وهلة، وقد تجد أنه من المزعج أن تجبر نفسك على الإتيان بمئة فكرة في عشر دقائق، وقد تمر الدقائق العشر الأولى دون أن تأتي بفكرة واحدة! إن حدث ذلك، فقم بتخصيص عشر دقائق أخرى، وهكذا إلى أن تأتي بأول فكرة. هذه الطريقة مهمة لأنك ستدرك من خلالها أنك قادر على الإبداع. ولا ينبغي للفكرة الأولى التي تأتي بها أن تكون عبقرية أو مبتكرة، بل يكفي أن تكون فكرة، وحسب.

قد تقول إنه ليس من الإبداع أن أهتم بالكم لا بالكيف. وهذا صحيح، ولكننا هنا نتحدث عن مرحلة تجميع الأفكار، وكل ما يهم في هذه المرحلة هو أن تجمع أكبر قدر ممكن من الأفكار، ولا يهم إن كانت مبتكرة أو غير مبتكرة. دع تقييم الأفكار لمرحلة أخرى، لأنك إن قمت بالمهمتين في وقت واحد (تجميع الأفكار وتقييمها) فإن هذا قد يعوقك، ويجعلك تشك في جودة كل فكرة تأتي بها. لذا عليك أن تدرب نفسك على أن تفكر دون أن تنْخُل تلك الأفكار، على الأقل في المرحلة الأولى التي تجمع فيها أفكارك. هذا الأمر ستتعلمه مع الوقت، فكل مرة تحاول فيها تقييم فكرة ما، اطرد هذا الخاطر جانباً، وذكّر نفسك بأن تقييم الأفكار سيتم في مرحلة لاحقة.

النصيحة الرابعة: حاول أن تأتي بفكرة جديدة كل يوم

أعلم أن هذه النصيحة قد تتعارض مع ما قلته في الجزء السابق، وهو أن تحاول الإتيان بأكبر قدر من الأفكار في المرة الواحدة. ولكن هذه الطريقة قد تكون مناسبة أكثر للبعض من سابقتها. أو يمكنك أن تجرب الطريقتين، ثم تختار منهما الأنسب لك. إن شعرت يوماً أن ذهنك منغلق تماماً، وأنك غير قادر على الإبداع، أو لا تجد ما يحفزك على التفكير، فإن هذه الطريقة ستكون بداية جيدة لك. كذلك فإن هذه الطريقة مفيدة لمن لم تُثمر معه طريقة تخصيص عشر دقائق للإتيان بأكبر قدر من الأفكار. جرب الطريقتين، ثم اختر منهما ما يلائمك.

هذه الطريقة تقتضي منك أن تأتي بفكرة جديدة كل يوم، في أي مجال يهمك. على سبيل المثال، إن كنت رساماً، فضع كل يوم فكرة للوحتك المقبلة. وإن كنت روائياً، وتحتاج إلى أفكار لوضع شخصيات الرواية، ففكّر كل يوم في شخصية جديدة، إلى أن تجتمع لديك شخصيات الرواية. وإن كنت رجل أعمال، وتحتاج إلى أفكار في التسويق، فيمكنك أن تضع كل يوم فكرة جديدة لذلك الغرض. وإن كنت تعمل في أكثر من مجال، فضع كل يوم فكرة جديدة لكل مجال على حدة.

قد تقول في نفسك: إن فكرة واحدة في اليوم لا تكفي لإحراز التقدم الذي أنشده. لا ألومك إن قلت ذلك، فأنا نفسي كنت سأقول الشيء ذاته لو لم أكن قد جربت الطريقة، ورأيت نتائجها. عندما بدأت باتباع هذه الطريقة، ألزمت نفسي أن آتي بفكرتين كل يوم، فكرتين في مجالين مختلفين. المجال الأول كان مجال الكتابة والمجال الثاني كان مجال التسويق. في البداية، كان أدائي بطيئاً، ولكن ما إن مضت الأسابيع

الأولى، حتى أصبحت قادراً على الإتيان بأفكار كثيرة، وبلا أي جهد يُذكر. في البداية كنت أجهد نفسي كثيراً في التفكير، ولكن بعد مدة أصبحت الأفكار تنهال عليَّ بطريقة عجيبة. وأصبحت قادراً أحياناً على أن آتي بأكثر من مئة فكرة في اليوم الواحد. وكان ذلك يحدث بشكل عفوي، بمعنى أني لم أكن أجلس وأُكرِه نفسي على الإتيان بهذا الكم من الأفكار. فالتزامي بأن آتي بفكرتين جديدتين كل يوم هو الذي أكسبني تلك المهارة، التي جعلت عقلي يفكر طوال الوقت في أفكار جديدة، سواء بذلت جهداً في ذلك أم لم أبذل.

ولكن عليَّ أن أعترف بأني بعد مدة، كبحت جماح عقلي؛ لأني كنت أريد استثمار الوقت في تنفيذ الأفكار بدلاً من جمعها فحسب. غير أني لا أنكر أن اكتساب ملكة الإتيان بأفكار جديدة كلما اقتضتك الحاجة إلى ذلك هو أمر رائع بلا شك.

إن طريقة الإتيان بفكرة جديدة كل يوم هي طريقة استلهمتها من الكاتب ورجل الأعمال الأمريكي جيمس ألتشر. ففي مقالة بعنوان «كيف تصبح آلة مولدة للأفكار»[1]، اقترح جيمس أن يحاول الشخص الإتيان بعشر أفكار جديدة كل يوم. ولكني رأيت ـ من تجربتي ـ أنه يكفيك أن تأتي بفكرة أو فكرتين في اليوم لتحقق النتائج التي ترجوها.

(1) The Ultimate Guide for Becoming an Idea Machine.

النصيحة الخامسة: غير من عاداتك وروتين حياتك

إن البيئة المحيطة بك لها تأثير كبير في قدرتك على الإبداع. ولحسن الحظ فأنت تستطيع - إلى حد ما - أن تحدد الأماكن التي تذهب إليها، وبالتالي تحدد البيئة التي تحيطك. على سبيل المثال، إن رغبت في تغيير البيئة المحيطة، فأنت تستطيع الجلوس خارج المنزل، أو الذهاب إلى حديقة قريبة. وعوضاً عن السفر الذي قد لا يتيسر لك دائماً، يمكنك أن تغير الأماكن التي تتردد إليها لكسر الرتابة والملل، مما سيجعلك أكثر إبداعاً.

إن كنت يوماً جالساً على كرسيك، وأمامك صفحة بيضاء غير قادر على أن تكتب فيها فكرة واحدة، فسيكون من المفيد لك أن تغير مكانك. غيّر مكان جلوسك، أو قم بعمل شيء مختلف، وانظر إن كان ذلك يجدي نفعاً في جعل الأفكار تتوارد عليك. وعندما تشعر بالإرهاق وعدم القدرة على الاستمرار في التفكير، فمن الأفضل لك أن تأخذ قسطاً من الراحة، ولا تجبر نفسك على العمل. الاسترخاء أو مشاهدة التلفاز من شأنهما أن يجددا من نشاطك.

وبدلاً من قضاء اليوم كله في المنزل، اخرج لاستنشاق الهواء، أو مارس رياضة تحبها، أو قابل شخصاً جديداً. قم بشيء مختلف، سواء كان ذلك قراءة كتاب، أو كتابة قصة، أو رسم لوحة، أو العزف على البيانو، أو تعلم كلمات من لغة أخرى.

إن كانت الأفكار تنهال عليك وأنت في مكانك، فلا بأس في أن تبقى في المكان ذاته. ولكن إن استغلق عليك الأمر، فأنت بحاجة إلى أن تغير ذلك المكان. فالإنسان قد يكلُّ ذهنه إن بقي في مكان واحد لا يبارحه ويفعل شيئاً واحداً لا يغيره.

أما أنا فلا أنكر أن عندي روتيناً أتبعه في حياتي، فنحن نحتاج شيئاً من الروتين لنكون أكثر فاعلية في العمل. ولكني مع ذلك أحرص على التغيير، وذلك بالسفر من حين إلى حين. كذلك فإني أقرأ كثيراً، في موضوعات شتى، وهذا يساعدني على الحصول على أفكار جديدة.

النصيحة السادسة: حدد المجال الذي تريد أن تبدع فيه

ما الشيء الذي تريد أن تبدع فيه؟ إن كنت لا تعلم بعد، فينبغي أن يكون هدفك الأول هو تحديد ذلك الشيء. وإن لم تستطع تحديده، فلا تقلق. يمكنك أن تجرب القيام بأشياء مختلفة، ثم تنظر إن كنت تجد نفسك في أحدها أم لا. أو جرب أن تقوم بعمل تحبه حقاً، وانظر كيف يمكنك أن تبدع فيه.

اسأل نفسك: ما أهم الأهداف التي أود أن أحققها الآن؟ على سبيل المثال، هل تريد أفكاراً لمشروعك التجاري الجديد؟ أم أفكاراً لتصاميم تود رسمها؟ أم أفكاراً لتزيين فناء بيتك؟ أياً كان الأمر الذي تود القيام به، إن كان يهمك إنجازه حقاً، فعليك أن تعمل يومياً من أجل تحقيقه. بهذه الطريقة ستتطور مهاراتك تطوراً كبيراً.

عندما تحدد المجال الذي تريد أن تبدع فيه، فإنك ستستطيع عندئذٍ أن تُسخر طاقتك للعمل من أجل الهدف الذي وضعته. وإن كنت تريد أن تسخر طاقتك للعمل في أكثر من مجال، فلا بأس في ذلك، ولكن عليك أن تعي أن تطورك سيكون أبطأ. وفي الأغلب، لكي تبدع حقاً في مجال ما، ينبغي عليك أولاً أن تتحلى بالخبرة اللازمة. فالإبداع في الفيزياء مثلاً يختلف عن الإبداع في الكتابة أو الهندسة المعمارية، فلكل مجال من هذه المجالات تحدياته المختلفة عن تحديات المجال الآخر. وبالطبع فإن اكتساب الخبرة يتطلب وقتاً غير الوقت الذي تحتاج إليه لوضع الأفكار. ما أقترحه عليك هو أن تبدأ أولاً بالتركيز على مجال واحد، ولا ينبغي أن تكون على درجة عالية من الخبرة في ذلك المجال، يكفي أن تكون لديك المعلومات الأساسية لتبدأ، ويمكنك بعدها اكتساب الخبرة شيئاً فشيئاً.

النصيحة السابعة: احرص على العادة التي يمارسها أكثر الناس إبداعاً

(أنت تمارسها منذ كان عمرك عاماً واحداً)

هي عادة نستطيع ممارستها ما إن نتم عامنا الأول، وهي العادة الرئيسة التي تجعل الأفكار المبدعة تنهمر عليَّ، وهي العادة التي أثبتت كفاءتها مع كثير من المبدعين غيري، ألا وهي رياضة المشي. المشي هو جزء من روتيني اليومي، وهو الجزء الذي آتي فيه بأكبر عدد من الأفكار. وبالالتزام بممارسة هذه الهواية، فإن الأفكار التي آتي بها صارت تتحسن يوماً بعد يوم. وأنا أعتبر نفسي محظوظاً لأني أسكن قرب الشاطئ، فيتسنى لي أثناء المشي أن أستمتع بمنظر الغروب والأمواج وأنواع الطيور المختلفة وأرى الناس وهم يلهون مع كلابهم على الشاطئ.

ولكن ليس من الضروري أن تسكن قرب الشاطئ لتمشي، يمكنك المشي في أي مكان لتحصل على نتائج إيجابية، وهذا الأمر تم إثباته في بحث بعنوان «اجعل أفكارك تتحرك»[1]، قام به أستاذان من جامعة ستانفورد، وهما مارلي أوبيزو ودانييل شوارتز. لقد ذكر الأستاذان في بحثهما أن كل من كانوا يحرصون على المشي - سواء في مكان مفتوح أو في مكان مغلق - استطاعوا أن يأتوا بضعف عدد الأفكار التي جاء بها أولئك الذين لم يبرحوا أماكنهم.

لكن إن كنت تحتاج إلى ما يحفزك أكثر على الإبداع، فإني أنصحك بأن تتمشى في الأماكن التي تنبض بالحياة. قد يستحق الأمر أن تقطع أميالاً بسيارتك لتذهب إلى مكان تستمتع فيه بالمشي، مما سيجعل من المشي هواية تحرص عليها. إن المشي مفيد لا لتوليد الأفكار وحسب، بل لصحتك أيضاً.

---

(1) Give Your Ideas Some Legs.

لا توجد قوانين ثابتة للمشي، ولكني شخصياً أفضل المشي نصف ساعة أو أربعين دقيقة، أربع مرات أو خمس مرات في الأسبوع. ما يهم في الأمر هو أن يصبح المشي عندك متعة في حد ذاته. وأنا أفكر أثناء مشيي، ولكن قد يفضل غيري أن يستمتع بالمشي ويؤجل التفكير. الطريقتان ناجحتان، وقد أثبت البحث الذي ذكرته آنفاً ذلك.

لا أعلم على وجه اليقين السبب الذي يجعل المشي محفزاً للإبداع، ولكني سأذكر بعض الأسباب التي أرجحها. عندما تمشي، فإن جسمك في حركة دائمة، لا يسكن. في الواقع كل جزء من جسمك يكون في حركة دائمة. كذلك فإن البيئة المحيطة بك تتغير باستمرار، فأنت لا تحدق في منظرٍ ساكن، بل تتغير بمشيك المشاهدُ التي تراها. كذلك فإني أعتقد أن المشي يحفز بعض الأجزاء في ذهنك، مما ينشط قدرتك على الإبداع.

من الأسباب الأخرى التي تجعل المشي يحفز الإبداع أنك قد تكتشف أثناء مشيك منطقة جديدة، أو تتعرف على شخص جديد، أو قد تقابل شخصاً لم تره منذ مدة وتندمج معه في حديث شائق. وقد تشاهد أثناء مشيك مناظر تلهمك، كمنظر الحيوانات أو الحشرات أو النباتات أو أي شكل آخر من أشكال الحياة. كذلك، عندما تمشي، فأنت تتحرك بسرعة معتدلة لا تمنعك من الاستمتاع بالمناظر والتفكير في الوقت ذاته.

قرأت يوماً كتاباً بعنوان «طقوس يومية»[1] للكاتب ميسون كاري، وهو الكتاب الذي جعلني أعي أهمية الدور الذي يشغله المشي في حياة المبدعين والعباقرة. من المشهورين الذين ذكرهم الكتاب، والذين جعلوا المشي جزءاً من روتينهم اليومي لودفيغ فان بيتهوفن، وفريدريك شوبان، وسيغموند فرويد، وكارل يونغ، ووليام فوكنر، وبورهوس فريدريك سكنر، وإيمانويل كانت، وفرانز كافكا، ووودي آلن، وجورج

(1) Daily Rituals.

غيرشوين، ورينيه ديكارت، وفرانز شوبرت، وفيكتور هوغو، وتشارلز ديكنز، وتشارلز داروين، وناثانيال هاوثورن، وليو تولستوي، وجورجيا أوكيفي، وسيرجي رحمانينوف، وألبرت أينشتاين، وجاكسون بولوك وأوليفر ساكس.

هذه بعض الأسماء التي أتى الكاتب على ذكرها، ممن حرصوا على رياضة المشي في حياتهم. لقد تحدث الكاتب عن 161 مبدعاً، منهم 50 شخصاً كانوا يحرصون على المشي بانتظام، فهو أولى العادات التي كان يشترك فيها أغلب المبدعين الذين ذُكروا في الكتاب. والكتاب في مجمله لا يتحدث عن رياضة المشي، بل عن الممارسات اليومية التي يحرص عليها المبدعون الذين قدموا إنجازات مهمة للبشرية. وعندما شرعت في قراءة الكتاب، اتضح لي مباشرة أن المشي هو أولى الممارسات التي كان يحرص عليها أولئك المبدعون.

لم يذكر البحث الذي قام به أستاذا جامعة ستانفورد السبب الرئيس الذي يجعل المشي يحفز الإبداع، ولكن الدلائل تثبت أنه يحفزه، سواء مارسَه الشخص في مكان مفتوح أو في مكان مغلق. أما أنا، فأفضل المشي في الأماكن المفتوحة، ولكن إن كان الجو لا يساعدك على ذلك، فيمكنك استخدام جهاز المشي في المنزل، أو الذهاب إلى الصالة الرياضية. لا يهم المكان بقدر ما يهم استمرارك في ممارسة هذه الرياضة. أرجو أن تكون الآن قد اقتنعت بأن للمشي دوراً في تحفيز الإبداع، بعد أن أخبرتك عن أثره في حياتي، وبعد أن أخبرتك عن بحث جامعة ستانفورد وعن المبدعين الذين ذُكروا في كتاب «طقوس يومية». يحتاج الناس أحياناً إلى دليل يقنعهم بجدوى ممارسة عادة ما، وأرجو أن يتمكن العلماء في السنوات المقبلة من التوصل إلى أدلة أخرى تثبت أثر المشي في تنمية الإبداع.

النصيحة الثامنة: عليك أن تعي أن من متع الحياة ألا تعرف كيف ستسير الأمور

كل الأشياء التي يعلموننا إياها منذ الصغر تجعلنا نعتقد أن هدفنا الأول ينبغي أن يكون التحكم في مجرى حياتنا، وكأن الحياة ما هي إلا فرس علينا امتطاؤه وتوجيهه إلى حيث نريد. فلنتخيل أن الحياة فرس فعلاً، نحن مطالبون حينها بأن ندرس الميدان ونعرف تماماً إلى أين نود توجيه الفرس، ومن ثم نمتطيه، وننجز المهمة بنجاح.

ولكن الإبداع له رأيٌ آخر! فهو يرى أنه لا بأس بألا نعرف كيف ستسير الأمور، ولا بأس إن لم يكن لدينا تصورٌ كامل لما نود إنجازه، أو كيف سننجزه، أو ماذا سيكون رأي الناس فيه، أو كيف ستكون النتائج النهائية، لا بأس بذلك كله. ينبغي أن نُهيئ أنفسنا لتقبل كل النتائج، فبعض المغامرات الإبداعية ستفشل، وبعضها سينجح نجاحاً مبهراً لا يمكن تصديقه. عدم المقدرة على التنبؤ بالنتائج سيقودنا أحياناً إلى الفشل، وأحياناً إلى النجاح.

دعوني أستمر في استخدام الفرس كناية عن الحياة. فلنتخيل أنك إنسان مبدع تمتطي فرساً، وأمامك عدة دروب تؤدي إلى النجاح، كل درب منها أمامه لافتة مكتوب عليها: «الطريق إلى النجاح» أو «هذا الطريق مضمون ومجرب». ثم تنظر فترى دروباً أخرى لم يسلكها أحد، وتجربة ما إن كانت تلك الطرق تؤدي إلى النجاح أم لا هو أمر عائد إليك. المبدعون وحدهم هم من سيقبلون التحدي ويختارون السير في الطريق الذي لم يجربه أحد.

ولن يخلو الأمر من الإثارة، فهم لا يعلمون ما قد يحدث لهم،

ولكنهم راضون بذلك. الفشل ليس أسوأ ما قد يحدث لك، فالفشل أمرٌ مؤقت. وبعده، يمكنك أن تنهض محملاً بالمعرفة التي اكتسبتها لتصحح مسارك، وتبحث عن طريق أفضل. وقد يحدث العكس تماماً، فقد تكتشف كنزاً لم يقع عليه أحد من قبل، لأن الجميع آثر أن يسلك الطرق الآمنة.

طرق توليد الأفكار

ما هي طرق توليد الأفكار؟

الفقرة التالية هي ذات الفقرة التي قرأتها في أول الكتاب، أعيدها مرة أخرى لأنعش ذاكرتك:

طرق توليد الأفكار هي طرق تساعدك في الإتيان بأفكار مبدعة بأقل جهد ممكن. فلقد جربت أنا نفسي صعوبة أن آتي بأفكار جديدة، وهذا ما جعلني أضع طرقاً تساعدني على التغلب على هذه المشكلة. باستخدام هذه الطرق، ستتمكن من الإتيان بأفكار جديدة، حتى لو كان ذهنك مجهداً وعاجزاً عن التفكير. وحتى لو شعرت يوماً بالملل، أو كنت حبيس المنزل ولا تجد ما يُلهمك، فسيكون في مقدورك أن تأتي بالأفكار بكل سهولة.

هذه الطرق ستجعلك تطلق الإبداع الموجود في داخلك، فمعظمنا يملك طاقة إبداعية غير مستغلة، ولسنوات عدة قد نكون أقنعنا أنفسنا بأننا أشخاص غير مبدعين، لا نملك الموهبة أو المعرفة التي تمكننا من الإبداع، وهذا غير صحيح. فطرق توليد الأفكار التي سأذكرها وُضِعت لتمكنك من الإتيان بأفكار جديدة، بغض النظر عن خبرتك السابقة، أو ظروفك، أو نوع المشروع الذي بين يديك.

أنا شخصياً جربت كل تلك الطرق، ولقد مكنتني مجتمعة من الإتيان بآلاف من الأفكار. لا أدعي أن جميع تلك الأفكار كانت رائعة، ولكنها

ستتحسن بالمِران. ولأنه لا توجد آلة سحرية تولد لك أفكاراً عبقرية، عليك أن تتعلم كيف تأتي بأفكار كثيرة ثم تمحصها لاحقاً لتختار منها الأفضل. كذلك فإن زيادة معرفتك بالمجال الذي تريد أن تبدع فيه ستمكنك من الإتيان بالأفكار. عندها، ستتمكن على أقل تقدير من تقييم الأفكار التي تأتي بها وتمييز الجيد منها من الرديء.

قبل أن أخبرك عن طرق توليد الأفكار، أريد أن أشير إلى أمرٍ أخير. ليست كل الأفكار التي سأذكرها في الأجزاء التالية هي أفكار مبتكرة ومفيدة. ولكن هذا ليس أمراً بالغ الأهمية كما تظن. بدايةً، الأمثلة التي سأضربها لكم في الصفحات التالية هي أمثلة وليدة اللحظة، ولكنها كفيلة بأن تبين لكم نوع الأفكار التي يمكن أن تأتي بها تلك الطرق. كذلك فإن كثيراً من الأمثلة التي استخدمتها كانت في مجالات خارجة عن نطاق خبرتي، لذلك فالأفكار التي أتيت بها لم تكن مبتكرة كثيراً، فخبرتي منحصرة في ثلاثة مجالات، هي الكتابة وإدارة الأعمال وعلم النفس. لكنني على يقين بأن طرق توليد الأفكار الموجودة في هذا الكتاب فعالة بما يكفي لتُطبق في مجالات أخرى كثيرة.

في الأجزاء التالية، حرصت على أن أستخدم أمثلة متنوعة تمس موضوعات مختلفة، فعلت ذلك لأنني أردت أن يكون الكتاب مفيداً لأكبر شريحة ممكنة من الناس. كذلك فإني لم أرغب في أن يشعر القارئ بالملل وهو يقرأ أمثلة مكررة تتناول موضوعاً واحداً لا غير. الهدف الرئيس من هذا الكتاب هو أن تعرف طرق توليد الأفكار وكيفية تطبيقها. وليس الهدف أن تقوم بتقييم الأمثلة التي وضعتها في الكتاب. فالحقيقة أن كلاً منا يبدع أكثر في المجال الذي يخصه ويفهمه، ولن يستطيع أن يصل إلى أفكار مبتكرة تستحق التطبيق، إلا بعد أن يأتي أولاً بعشرات، بل بمئات، من الأفكار.

ولأني أردت أن أنهي هذا الكتاب في مدة معقولة؛ فإني لم أضمنه أمثلة كثيرة؛ بل أمثلة أساسية ـ ليست على درجة كبيرة من الإبداع بالضرورة ـ كفيلة بأن تجعل القارئ يستوعب الفكرة. عندما تبدأ بتطبيق طرق توليد الأفكار، ستكون قادراً على الإتيان بأفكار كثيرة، والأغلبية العظمى منها كذلك لن تكون على درجة كبيرة من الإبداع. لكن عليك أن تركز على القليل المبدع منها وتشحذ همَّتك من أجل البدء بتطبيقها.

والآن، لنبدأ بتعلم طرق توليد الأفكار التي يمكنك البدء باستخدامها على الفور.

طريقة الحروف الأبجدية

شرح الطريقة

هـذه إحـدى الطـرق المفضلـة لـديّ، فهـي فـي غايـة السـهولة، ولا تحتـاج عنـد اسـتخدامها إلـى تعلـم أي مهـارة جديـدة تسـتغرق وقتـك الثميـن. مـا دمـت تعـرف الحـروف الأبجديـة، فيمكنـك أن تطبقهـا متـى شـئت.

عندمـا تسـتخدم هـذه الطريقـة، كل مـا عليـك فعلـه هـو أن تسـترجع فـي ذاكرتـك الحـروف الأبجديـة بالترتيـب، حرفـاً حرفـاً، وكلمـا اسـترجعت حرفـاً جئـت بفكـرة جديـدة تبـدأ بذلـك الحـرف. ويمكنـك أحيانـاً أن تبـدأ بآخـر حـرف مـن الحـروف الأبجديـة وصـولاً إلـى الحـرف الأول، كنـوع مـن التغييـر. وأحيانـاً، لتجعـل المهمـة ممتعـة، قـم بإعـداد طبـق مـن حسـاء الحـروف الأبجديـة المعـروف، وحـاول أن تأتـي بفكـرة تبـدأ بـكل حـرف تجـده فـي الحسـاء. يمكنـك أيضـاً تطبيـق هـذه الطريقـة باسـتخدام أحـرف اسـمك، أو أسـماء أصدقائـك، أو أفـراد عائلتـك.

طريقـة الحـروف الأبجديـة هـذه هـي طريقـة شـائعة حتـى إنـك لتجدهـا عنـد معظـم الأطفـال فـي سـن الرابعـة أو الخامسـة. لمـاذا تُعتبـر هـذه الطريقـة جيـدة لتحفيـز ذهنـك وجعـل الأفـكار تتداعـى إليـك؟ لأن لدينـا 28 حرفـاً فـي اللغـة العربيـة، وهـذا سـيمكنك مـن الإتيـان بنحـو 20 فكـرة أو أكثـر فـي كل مـرة. لـن يتوقـع أحـد أن تأتـي بأفـكار للأحـرف الصعبـة كحـرف (الضـاد) أو حـرف (الظـاء)، فـلا تجهـد نفسـك فيهمـا كثيـراً. إن طريقـة الحـروف الأبجديـة هـي إحـدى الطـرق التـي تسـاعد علـى الإبـداع وتنشـيط الذهـن،

ولكنها طريقة تحتاج إلى مخزون معرفي واسع يمكنك من الإتيان بفكرة مناسبة لكل حرف. كلما كانت معلوماتك أكثر، زاد عدد الأفكار التي تجمعها من ذاكرتك. قد لا يعي أكثر الناس أن الإبداع وقوة الذاكرة أمران مرتبطان أحدهما بالآخر أشد الارتباط.

عندما تستخدم طريقة الحروف الأبجدية، قد تكون الأفكار الأولى التي تأتي بها أفكاراً بالغة الغموض. لا بأس في ذلك، فالإبداع بحاجة إلى نقطة انطلاق، ولو كانت ضعيفة. على سبيل المثال، ربما تود الإبداع في مجال عملك (كأن تخترع نظاماً جديداً، أو تبدع قطعةً فنية) ولكن لا توجد لديك صورة واضحة عمَّا تريد إنجازه. طريقة الحروف الأبجدية ستساعدك على البدء بتكوين هذه الصورة.

أنا شخصياً أفضل استخدام طريقة الحروف الأبجدية في جلسات أحددها. أولاً أضع نصب عينيّ الموضوع الذي أريد أن آتي له بالأفكار، ثم أجلس وأحاول أن آتي على الأقل بفكرة واحدة لكل حرف. لا أجهد نفسي كثيراً في الأحرف الصعبة، ولكني في نهاية الجلسة أكون قد جمعت ما يقارب 30 فكرة، في وقت لا يتجاوز بضع دقائق. وإن لم أقتنع بتلك الأفكار، فإني أكرر الجلسة في اليوم التالي، وهكذا حتى آتي بالأفكار المطلوبة.

متى نستخدم طريقة الحروف الأبجدية؟

هي طريقة ممتازة من كل النواحي وتفيد في أغلب الحالات التي تحتاج فيها إلى أفكار جديدة، ولكنها طريقة تعتمد إلى حدٍ ما على ذاكرتك، لأنه ينبغي عليك - عند تطبيقها - تذكر كلمات معينة أو مفاهيم أو أفكار؛ لذلك من الأفضل أن تستخدمها عندما تكتسب المعرفة اللازمة في مجالك الذي تعمل فيه، فتكون كل المعلومات التي تحتاج إليها في ذهنك، لتستطيع أن تأتي بفكرة مناسبة لكل حرف.

كذلك فإن هذه الطريقة مفيدة عندما تحتاج إلى كم هائل من الأفكار في وقت ضيق، وهي طريقة تساعد على جمع أفكار متنوعة، لأن كل فكرة تأتي بها تبدأ بحرف من حروف الأبجدية. لقد تعمدت أن أضع هذه الطريقة على رأس القائمة؛ لأنها سهلة وفعالة، لذلك فإني أبدأ بها في الأغلب، وإن احتجت إلى أفكار أكثر، فإني عندئذٍ أنتقل إلى الطرق الأخرى.

مثال

لنفترض أن الطائرة التي كنت على متنها سقطت على جزيرة مهجورة، وتحطمت. أنت وحيد الآن في الجزيرة، وبحاجة إلى خطة تعيدك إلى بيتك سالماً. فلنستخدم طريقة الحروف الأبجدية لنحاول الإتيان بأفكار تساعدك:

- (أ) ـ (أداة حديدية) هل يمكنك أن تجد أداة حديدية تعينك في فتح صناديق الطائرة التي قد تحوي الطعام والشراب؟
- (ب) ـ (بطل) يجب أن تتحلى بالشجاعة، ولا تستسلم مهما كلفك الأمر.
- (ت) ـ (تكبير الصوت) هل توجد طريقة تستطيع بها أن تكبر صوتك ليتمكن أحدهم من سماعك ومن ثم إنقاذك؟
- (ث) ـ (ثمار) هل توجد ثمار في الجزيرة تستطيع أن تتغذى عليها؟
- (ج) ـ (جبل) هل يوجد جبل لتتسلقه مما قد يزيد من فرص رؤيتك ومن ثم إنقاذك؟
- (ح) ـ (حبر) هل يمكن أن تجد حبراً أو أي شيء آخر يمكن استخدامه للكتابة لتلفت انتباه أحدهم، أو على الأقل ليعلم الناس فيما بعد أن شخصاً كان هنا؟
- (خ) ـ (خنافس) قد تضطر إلى أكل الخنافس والحشرات، إن لم تجد طعاماً.
- (د) ـ (دلو) هل يوجد دلو في الجزيرة تستطيع فيه جمع مياه الأمطار للشرب؟
- (ذ) ـ (ذهن) عليك أن تصفي ذهنك وتحاول التفكير في طريقة للنجاة.
- (ر) ـ (رفع المعنويات) عليك أن تجد طرقاً تسلي بها نفسك لتظل معنوياتك مرتفعة.

تمارين

استخدم طريقة الحروف الأبجدية عند حل التمارين التالية.

- في المثال السابق، وضعتُ عشر أفكار تبدأ بالحروف العشرة الأولى من الأبجدية، حاول أن تضع أفكاراً أخرى باستخدام الحروف الثمانية عشر الباقية (ز- ي).
  - مساعدة: ليس الهدف أن تأتي بأفكار عبقرية، ولكن بأي فكرة مفيدة وذات معنى. كذلك فإنك قد تجد صعوبة في إيجاد كلمات تبدأ بحرف الزاي، يمكنك عندها أن تبدأ بالحرف الذي يليه وهو السين.
- هل يمكن أن تفكر في استخدامات أخرى لقطع الطوب؟
- هل يمكن أن تفكر في أسماء مواليد جديدة لم يُسمَّ بها أحدٌ من قبل؟
- هل يمكن أن تفكر في أدوات أخرى للكتابة غير القلم؟
- ما الطرق الممكنة للخروج من سيارة مقفلة؟

طريقة طرح الأسئلة

شرح الطريقة

الطريقـة ببسـاطة هـي أن تحـاول طـرح أكبـر عـدد ممكـن مـن الأسـئلة. أهـدف مـن وراء هـذه الطريقـة إلـى أن أزيـد مسـتوى الفضـول لديـك، فالفضـول والإبـداع وجهـان لعملـة واحـدة. قـد تظـن أن طـرح الأسـئلة لا علاقـة لـه بالإبـداع، ولكـن العكـس هـو الصحيـح. فأنـت عندمـا تطـرح الأسـئلة، تحفـز ذهنـك إلـى التفكيـر فـي أجوبـة منطقيـة لتلـك الأسـئلة.

كثيـرٌ منـا لا يعـي تمامـاً أهمية طـرح الأسـئلة. لكـن تخيـل معي أنـك في غرفـة مليئـة بالنـاس، وأن عليـك أن تقـف أمـام كل شـخص منهـم ـ حامـلاً الميكروفـون فـي يـدك ـ لتسـأله سـؤالاً بسـيطاً. لا يهـم مـا السـؤال، فقـد تسـألهم جميعـا السـؤال ذاتـه، كأن تقـول: «أيـن سـتكون غـداً فـي مثـل هـذا الوقـت؟»، وفجـأة سـتجد أنـك أنـت مـن يتحكـم فـي عقـول جميـع مـن فـي الغرفـة. فـكلٌ منهـم سـيعطيك إجابـة، أو بالأصـح فكـرة، لمـا سـوف يفعلـه فـي الغـد.

أيـاً كان السـؤال الـذي تطرحـه، فإنـه سيحفز ذهنـك إلـى محاولـة الإتيـان بإجابـة لـه. فمـن المنطقـي أنـك كلمـا جئـت بأسـئلة مختلفـة، فكّـرت فـي إجابـات محتملـة لهـا.

متى نستخدم طريقة طرح الأسئلة؟

عندما تحاول حل مشكلة ما، ولكنك تشعر بأن ثمَّة حلقة مفقودة، فإن طرح الأسئلة سيساعدك على توجيه تفكيرك إلى أساس المشكلة. كذلك إن كنت غير راضٍ عن مستوى الأفكار التي جئت بها، أو عاجزاً عن فهم المشكلة التي أمامك، فإنه سيكون من المفيد لك أن تبدأ بطرح أسئلة. هذه الأسئلة ستساعدك على تسليط الضوء على جوانب مهمة غابت عنك أول الأمر، على رغم أنها تستحق أن توضع في الحسبان.

على سبيل المثال، ربما تكون قد شرعت في عمل مبدع لم تستعد له جيداً، مما أوصلك إلى طريق مسدود. حينها، قد يكون من المفيد لك أن تسأل نفسك أسئلة لتعلم ما الخطأ الذي قمت به، ومن ثم تعمل على تصحيحه.

مثال

لنفترض أنك تحاول الإتيان بأفكار لوضع نظام مواصلات جديد تماماً لتحل مشكلة المناطق المكتظة بالسكان. ينبغي أن تفكر في شيء آخر غير توسعة الطرق، فالشوارع مزدحمة بالسيارات، وربما حان الوقت للتفكير بطريقة مبتكرة للتنقل.

عليك أن تطرح أسئلة مثل:

هل يحتاج الجميع إلى أن يقود سيارة؟

هذا السؤال سيجعلك تفكر في الحيز الكبير الذي تشغله السيارات في الشوارع، والتي غالباً لا يكون فيها إلا شخص واحد، هو السائق. من بين الحلول التي قد تأتي بها اشتراط وجود أكثر من راكب في السيارة، مما قد يدفع بعض الناس إلى استخدام وسائل المواصلات العامة.

هل تُشجع وسائل المواصلات العامة عندنا على استخدامها؟

هذا السؤال سيقودك إلى أسئلة أخرى مثل: هل توجد طوابير انتظار طويلة عند محطات الحافلات؟ هل تستغرق الحافلة وقتاً طويلاً لتصل إلى وجهتها؟ هل تصل الحافلات إلى جميع الوجهات الرئيسة التي يحتاج إليها الناس؟ قد تتساءل أيضاً هل من المفروض أن تُسَخَّر ميزانية أكبر للمواصلات العامة لتكون جاذبة أكثر للركاب، ومن ثم تقلل اكتظاظ الشوارع بالسيارات؟ من الأفكار التي قد تجعل الحافلات جاذبة أكثر للركاب جعلها مريحة من الداخل وجميلة من الخارج.

هل ينبغي أن يستبدل الناس السير على الأقدام أو الدراجات الهوائية بالسيارات؟

أنت تعلم تماماً أنك لن تستطيع منع الناس من سياقة السيارات، ولكن طرح هذا السؤال سيقودك إلى التفكير في منح ميزات لمن يمشي على رجليه أو يستخدم الدراجة الهوائية بدلاً من السيارة. قد تقترح زيادة مسارات الدراجات الهوائية في الشوارع، أو تزيين الأرصفة وجعلها نظيفة لتشجيع الناس على المشي، أو إعفاء الذين لا يستخدمون السيارات من الضرائب. أيضاً، قد تقترح إقامة مسابقة مجتمعية تقتضي أن يضع الشخص عداداً على دراجته أو كاحله يحسب عدد الأميال التي يقطعها في اليوم، ثم تُمنح - في نهاية كل شهر - جائزة لمن يقطع أكبر عدداً من الأميال.

تمارين

استخدم طريقة طرح الأسئلة عند حل التمارين التالية.

- إن كان ثمَّة نيزكٌ كبير يوشك أن يرتطم بالأرض، فما الذي يمكنك فعله لإيقافه؟
    - مساعدة: اطرح أسئلة عن كيفية تغيير مسار النيزك أو تفتيته إلى قطع أصغر أو تدميره بالكامل.
- كيف لك أن تُنشئ منصة جديدة للتواصل الاجتماعي تُنافس شركتي فيسبوك وتويتر؟
- كيف يمكنك اختراع لعبة إلكترونية جديدة تُنافس الألعاب الأكثر رواجاً الموجودة حالياً في الأسواق؟
- كيف يمكنك مساعدة طفلك إن أراد أن يكون له كشك لبيع عصير الليمون المثلج في الحي؟
- ما الأفكار التي ستأتي بها إن أردت أن تجعل حديقة بيتك الأمامية أو الخلفية مميزة؟ (فكّر في أنواع النباتات المختلفة، وأشجار الزينة، وممرات المشي التي تفصل بين الحشائش، ..إلخ).

طريقة الفكرة الأسوأ

شرح الطريقة

عندما يكون ذهنك منغلقاً تماماً وعاجزاً عن الإتيان بأي فكرة جديدة، غالباً ما يكون السبب هو أنك لم تسمح للأفكار بالتبلور، بل استبعدتها منذ البداية. الإتيان بأفكار جديدة موهبة يمتلكها الجميع، وانغلاق الذهن يعني أن أمراً ما قد حدث، وعطَّل تلك الموهبة. ربما تكون مثلاً قد بالغت في تقييم أفكارك، والمبالغة في تقييم الأفكار تؤدي إلى مشكلتين تعيقان الإبداع. المشكلة الأولى أن المبالغة في تقييم الفكرة تدمر الفكرة بكاملها منذ البداية، ولا تسمح لها بالتبلور لتأخذ صورتها النهائية. المشكلة الثانية هي أن المبالغة في تقييم الأفكار تجعلك تبدو كأنك تعاقب نفسك على عدم الإتيان بأفكار جيدة، وهذا العقاب يجعلك غير راغب في إعادة المحاولة.

سأقدم لك حلاً يجعلك تتغلب على حالات انغلاق الذهن التي قد تعتريك، وتبدع أفكاراً جديدة. قد لا تجد هذا الحل مُقنعاً، ولكني أطلب منك أن تجربه قبل أن تحكم عليه.

حاول أن تأتي عمداً بأسوأ أفكار ممكنة

اجعل هذا هدفك، وربما تُفاجأ بفكرة عبقرية تقفز لك من بين تلك الأفكار التي ظننت أنها سيئة. الطريقة ببساطة هي أن تحاول الإتيان بأسوأ أفكار ممكنة، قد تكون الأفكار في البداية مضحكة ومثيرة للسخرية،

ولكن بعد قليل ستقول لنفسك: «هذه فكرة مجنونة... ولكن قد يُكتب لها النجاح». حتى لو كانت كل الأفكار التي جئت بها لا فائدة تُرجى من ورائها، فيكفي أن هذه الطريقة ستعيد لك ثقتك بنفسك. ستكتشف أن حالة انغلاق الذهن ما هي إلا مرحلة مؤقتة، مررت بها، واجتزتها. وبعد أن تكون قد أفرغت ما في جعبتك من أفكار خرقاء، يمكنك أن تأتي بالأفكار القيّمة.

لن تخسر شيئاً إن طبقت هذه الطريقة، فالأفكار السيئة ستظل مجرد أفكار، ولن تتحول إلى حقيقة. كل ما ستخسره هو بضع دقائق من وقتك. عليك أن تعلم أن الإتيان بأفكار (أي أفكار) هو تمرين رائع لتعزيز الإبداع، وأي وقت تبذله في محاولة الإتيان بفكرة ـ وإن كانت خرقاء ـ هو وقت غير ضائع.

متى نستخدم طريقة الفكرة الأسوأ؟

هـذه الطريقـة فعالـة جـداً عندمـا تشـعر بـأن ذهنـك لا يعمـل، وأنـك عاجـز تمامـاً عـن التفكيـر، ومـن ثـم الإبـداع. كذلـك فـإن الطريقـة مسـلية لـي شـخصياً، فعندمـا أسـأل نفسـي «مـا أسـوأ شـيء قـد أفعلـه فـي هـذا الموضـوع؟» أو «مـا أسـخف ردة فعـل قـد آتـي بهـا؟» فإنـي حينهـا لـن آتـي بأفـكار مبدعـة فحسـب، بـل ومسـلية أيضـاً، تضفـي جـواً مـن المـرح علـيَّ وعلـى مـن حولـي.

مثال

لنفترض أنك ترغب في وضع أفكار لتصميم مجموعة جديدة من الحُلي، لكنك تشعر بأن ذهنك منغلق تماماً وأنك عاجز عن الإتيان بأي فكرة جديدة. ثم تقرر أن تأتي بأسوأ أفكار ممكنة، فتجعل هدفك هو تصميم قطع حُلي لا يرغب أحد في التزين بها.

وعندها، تبدأ الأفكار في التوارد عليك: ماذا لو صممت إكسسوارات من الفحم الأسود أو من مادة الزئبق السامة؟ وبدلاً من تصميم سوار يُلف حول الرسغ، ماذا لو صنعت قطعة حُلي مبتكرة تُلف حول الساق أو الذراع أو الكتف؟ ماذا لو كان لون القطعة يتغير بتغير درجات الحرارة؟ ماذا لو صممت قطعة بها جرس إنذار يرن إن تزين بها غير صاحبها؟

دعني أخبرك أني أول من سَيُقر أن كل هذه الأفكار هي أفكار خرقاء، مع أن فكرة القطعة التي تُلف حول الساق أو الذراع فكرة لا بأس بها، ولكني لست متأكداً إن كانت فكرة مبتكرة حقاً أم لا. الهدف من طريقة الفكرة الأسوأ هو أن نعي أنه حتى الأفكار الخرقاء قد تكون مصدر إلهام لنا. فمحاولة التفكير في طريقة تجعل تلك الأفكار قابلة للتطبيق ستقودنا إلى نتائج مذهلة، وستثبت لنا أن كل أمر يمكن تحقيقه، إن أردنا له ذلك.

على سبيل المثال، بدلاً من صنع إكسسوارات من الفحم الأسود، قد يلهمك اللون صنع حُلي ذات لون أسود. وقد تصنع إكسسوارات

مـن الزئبـق بالفعـل، ولكـن بعـد أن تغطيهـا بمـادة عازلـة تجعـل الزئبـق آمنـاً للاستخدام، وقـد تضيـف إليـه معـادن أخـرى، كالذهـب أو الفضـة. الرائـع في الأمـر أنـه حتـى عندمـا يكـون هدفنـا الإتيـان بأفـكار سـيئة، فإننـا سنكتشـف أن بعضـاً منهـا يمكـن تنفيـذه، ولكـن بطـرق مبدعـة. الفكـرة التـي افترضـت أنهـا فاشـلة قـد تتحـول إلـى فكـرة ناجحـة، إن أعطيتهـا حقهـا مـن الوقـت والجهـد. وحتـى لـو لـم تلهمـك الفكـرة السيئة، فإنهـا ستضفي عليـك جـواً مـن المرح، يخلصـك مـن ضغـوط العمـل، ويهيئـك للإتيـان بأفـكار أفضـل.

تمارين

استخدم طريقة الفكرة الأسوأ عند حل التمارين التالية.

- ما أسوأ فكرة تجعل طالباً في الجامعة يحصل على درجات امتياز في كل المواد؟
  - مساعدة: فكّر في طريقة تجعل الطالب يحقق هذا الهدف دون أن يُكلف نفسه عناء حضور المحاضرات الجامعية.
- ما أسوأ فكرة لصنع نوع جديد من آلات تحميص الخبز؟
- ما أسوأ فكرة لتصميم مسدس لعبة للأطفال؟
- ما أسوأ فكرة لتصميمٍ داخليٍ لمنزل؟
- ما أسوأ فكرة لصنع رجل ثلج؟

طريقة البيئة المحيطة

شرح الطريقة

عندما تواجه مشكلة متعلقة بالإبداع، عليك أن تضع في اعتبارك البيئة المحيطة بالمشكلة. كثيراً ما نجد أنفسنا عاجزين عن حل المشكلة التي أمامنا، أو عاجزين عن الإتيان بأفكار مناسبة، لأننا نحصر عقولنا في المشكلة فقط، ونتجاهل الظروف المحيطة بها، والتي قد تساعدنا في حل المشكلة بطرق لم نتوقعها.

تختلف البيئات المحيطة وتتنوع. على سبيل المثال، لدينا البيئة المنظمة والبيئة الفوضوية. وفي مقال بعنوان «النظام يؤدي إلى اختيار حلولٍ آمنة وتقليدية بينما تؤدي الفوضى إلى الإبداع»[1]، تخبرنا الباحثة كاثلين فوهس أن البيئة المنظمة تقودنا إلى إنجاز العمل بطرق تقليدية، بينما تُحفز البيئة الفوضوية التفكير الإبداعي والخروج عن المألوف. ذلك لأن بيئة العمل التي تعمها الفوضى يكون فيها الكثير من مصادر الإلهام التي قد تساعد على حل مشكلة ما. وحتى إن كانت تلك المصادر لا تمت للمشكلة بصلة، فإنها غالباً تساعد على حلها. مصادر الإلهام في البيئة المحيطة تجعلنا نفكر في اتجاهات ما كنا لنفكر فيها لو لم نتأمل ما يحيط بنا.

لقد وجدت طريقة البيئة المحيطة مفيدة لي على المستوى الشخصي. فأنا عندما أفكر، أستغرق في أفكاري وأنسى العالم من حولي. صحيح

(1) Physical order produces healthy choices, generosity, and conventionality, whereas disorder produces creativity.

أن هـذا يجعـل مسـتوى التركيـز لـديَّ عاليـاً، ولكنـه لا يعينني علـى الإبـداع. فلكـي نبـدع، لا بـد مـن أن نسـتلهم الأفـكار مـن كل مـا يحيـط بنـا. وبعـد أن لمسـت بنفسـي قـوة البيئـة المحيطـة فـي تحفيـز الإبـداع، صـرت أتجاهـل عقلـي أحيانـاً لأتأمـل الأشـياء مـن حولـي.

متى نستخدم طريقة البيئة المحيطة؟

هـذه الطريقـة فعالـة إن كنـت تعمـل فـي مـكان بـه تفاصيـل كثيـرة، أو فـي مـكان تعُـدُّه مصـدر إلهـام لـك بشـكل أو بآخـر. كذلـك فـإن الطريقـة مفيـدة عندمـا تكـون فـي مـكان جديـد عليـك، ملـيء بالزخـارف والتصاميـم، أو بأشـياء تراهـا لأول مـرة فـي حياتـك.

تكـون البيئـة المحيطـة ملهمـة إن كانـت فـي تجـدد دائـم، لا تسـتقر علـى حـال. فمثـلاً، فـي البيئـات الاجتماعيـة سـتحصل علـى أفـكار كثيـرة ممـن حولـك مـن النـاس، وسـيكون مـن السـهل عليـك تطبيـق هـذه الطريقـة، فكل مـن حولـك يلهمـك.

وحتـى فـي بيئـة العمـل التـي أَلِفْتَهـا، والتـي لا تـرى فيهـا شـيئاً جديـداً، يمكنـك تطبيـق طريقـة البيئـة المحيطـة. فاعتيـادُ مكان العمـل قـد يخمـد فينـا حـس الشـعور بالأشـياء، ولكـن إن دققنـا النظـر، فـلا بـد أن نجـد مـا يطلـق العنـان لأفكارنـا.

مثال

لنفترض أنك في حفل عمل مع صديق لك، وقام صديقك بتعريفك إلى فتاة يعرفها ثم اضطر إلى المغادرة، وترككما معاً. أنت الآن مع شخص تعرفت إليه للتو، وبعد عبارات المجاملة المتعارف عليها، لا تعلم ما الذي ينبغي عليك قوله.

إن فكرت قليلاً في الظروف التي جمعتكما، فستتذكر أن بينكما صديقاً مشتركاً. هذا قد يقودك إلى الموضوع الأول، وهو أن تسألها كيف تعرَّفَت إلى صديقك. قد تلاحظ أيضاً أن الفتاة تتزين بقرطٍ ذي تصميم مميز، مما يلهمك أن تتحدث معها في موضوعٍ آخر، فتسألها عن نوع القرط ومكان شرائه، ومناسبة الشراء، ليظل الحديث مستمراً بينكما.

ثم تتذكر أن المناسبة التي أنت فيها أقامتها جهة العمل التي يعمل لديها صديقك، ليتعرف الموظفون بعضهم إلى بعض. فيمكنك أن تسأل الفتاة إن كانت تعمل في القسم ذاته الذي يعمل صديقك فيه، أم أنها جاءت إلى الحفلة لمرافقته فقط.

ومن الأمور الأخرى التي قد تكون في البيئة المحيطة فتتحدث عنها الموسيقى المعزوفة في المكان، والزينات الموجودة، أو يمكنك أن تُعلق على أي تصرف غريب أو مضحك قد يصدر من أحد الحضور.

تمارين

استخدم طريقة البيئة المحيطة عند حل التمارين التالية.

- عندما تشعر بالملل، حاول أن تجد حولك ما يلهمك فعل شيءٍ يُزيل عنك هذا الشعور. حتى لو كنت في المنزل، فحاول أن تجد شيئاً مسلياً قد تكون نسيته.
  - مساعدة: قد تبدأ بتصفح دفاترك القديمة، أو بالتفتيش في أدراجك، أو خزانة ملابسك، أو بدخول الغرف التي لم تدخلها منذ مدة.
- إن كنت بحاجة إلى فكرة منتج جديد ولكنك لا تعلم من أين تبدأ، ففكر في بيئتك المحيطة. هل جربت منتجاً لم يعجبك؟ كيف يمكنك أن تصنع شيئاً أفضل منه؟
- إن كنت تريد أن تقوم بتصميم قطعة فنية ولكنك لا تعلم من أين تبدأ، فانظر إلى آخر قطعة فنية صممتها، أو إلى أعمال الفنانين الذين تأثرت بفنهم، أو أعمال أولئك الذين تعرفهم شخصياً،.. إلخ.
- إن طلب منك مديرك أن تجهز أفكاراً جديدة لاجتماع الشركة المقبل، فحاول أن تستلهم الأفكار من غرفة مكتبك. قد تتأمل صور عائلتك الموجودة على المكتب، أو اللوحات المعلقة على الجدار، أو قد تقرأ في سِيَرِ مديري الشركة السابقين، أو قد تنظر إلى أي شيء آخر حولك، لتطلق العنان لأفكارك.

- إن كنت مديراً، ولاحظت أن موظفيك غير قادرين على الإنجاز، فحاول أن تنظر إلى البيئة المحيطة بهم لتعرف ما الذي يريدونه، وما الذي يحتاجون إليه.

طريقة الثقافات الأخرى

شرح الطريقة

هي أن تفكر في الكيفية التي سيتعامل بها شخص من ثقافة أخرى مع المشكلة التي تواجهك، أو أن تتوقع الأفكار التي قد يأتي بها للموضوع الذي بين يديك. قد تسأل نفسك مثلاً: كيف سيتعامل الأمريكيون أو الهنود أو المكسيكيون أو الآسيويون مع هذه المشكلة؟ ذكرت تلك الأعراق بصورة عامة، لكن إن كنت تعرف شعباً من الشعوب حق المعرفة، فيمكنك أن تكون أكثر دقة، فتضع في اعتبارك شرائح المجتمع المختلفة للشعب الواحد.

لكي تستخدم طريقة الثقافات الأخرى ينبغي أن يكون لديك اطلاع على الثقافات المختلفة. وإن كانت تنقصك تلك المعرفة، فلا بأس في ذلك. يمكنك أن تبدأ بالقراءة عن الشعوب الأخرى، عن تاريخها وأسلوب حياتها، وعن أولوياتها في الحياة، وعن الطقوس والأعياد التي تحرص عليها، وعن الموسيقى التي تفضلها، وعن كل ما قد تتعلمه عنها. إن استطعت أن تسافر بنفسك، وتتواصل مباشرة مع تلك الشعوب، فذلك - بلا شك - أفضل من التعلم عن بعد. أما إن كان يكفيك أن تأخذ فكرة عامة عن شعب من الشعوب، فإن مواقع الإنترنت ملأى بالمعلومات.

صحيح أن معظم طرق توليد الأفكار المذكورة في هذا الكتاب لا تقتضي أن يكون لديك علم ومعرفة، لكن إن أردت أن تستخدم هذه الطريقة تحديداً، فينبغي أن تكون لديك فكرة عامة عن ثقافات الشعوب الأخرى.

متى نستخدم طريقة الثقافات الأخرى؟

هـذه الطريقـة فعالـة عندمـا تحتـاج إلـى أن تنظـر إلـى الأمـور بطريقـة مختلفـة لكـي تسـتطيع حـل المشـكلة التـي تواجهـك. فالشـعوب قـد تكـون لهـا آراء متباينـة فـي موضـوع واحـد. علـى سـبيل المثـال، تفضـل بعـض الثقافـات امتـلاك الكثيـر مـن الأشـياء، وبعضهـا الآخـر لا يفضـل ذلـك. بعضهـا يقـدس العائلـة، بينمـا يقـدم آخـرون العمـل علـى العائلـة. بعضهـا ينظـر إلـى مهنـة مـا علـى أنهـا مهنـة محترمـة، بينمـا قـد يحتقرهـا آخـرون. إن شـعرت يومـاً بـأن أفـق تفكيـرك ضيـق فـي التعامـل مـع مشـكلة مـا، وأن ثقافتـك ونظرتـك إلـى الأمـور لا تجعلانـك تحيـط بأبعـاد المشـكلة، فسـتجد ضالتـك فـي طريقـة الثقافـات الأخـرى.

مثال

لنفترض أنك مصمم أحذية أمريكي، وتريد أن تأتي بأفكار لحذاء جديد يلاقي رواجاً كبيراً في العالم. وبسبب نشأتك في الولايات المتحدة، فإن لديك أفكاراً مسبقة عما يحب الأمريكيون انتعاله، وعن متوسط الأسعار، وغيرها من الأمور. ولكن لأنك تريد أفكاراً جديدة، تبدأ بالبحث عن مفهوم الحذاء في الثقافات الأخرى لتُفاجأ بالنتائج! ففي كثير من بلدان العالم أناسٌ لا يستطيعون توفير قيمة حذاء واحد، وأشهر ماركات الأحذية التي ينتعلها أغلب الأمريكيين هي حكرٌ على الأغنياء في بلدان أخرى.

وبعد أن رأيت أن كثيرين في العالم محرومون من انتعال الحذاء، لأنهم لا يملكون ثمنه، فإن أفكارك المبدعة تبدأ في التوارد عليك. قد تسأل نفسك: هل يمكن أن أجد مواد رخيصة، لكن ذات جودة عالية، لأصنع منها حذاء؟ هل أستطيع أن أجد من يمول مشروع صنع أحذية جيدة ورخيصة لأولئك الذين هم بحاجة إليها؟ هل توجد طريقة أوظف بها عمالاً من تلك البلدان الفقيرة لأستطيع رفع مستواهم المعيشي؟ ستجد أن عقلك بدأ يفكر فجأة في اتجاهات كثيرة ما كان ليفكر فيها لو لم تقرأ عن مفهوم الحذاء عند الثقافات الأخرى.

تمارين

استخدم طريقة الثقافات الأخرى عند حل التمارين التالية.

- عندما تختار تصميماً لمنزلك، اسأل نفسك: هل هذا التصميم سيعجب أُناساً من ثقافات أخرى؟
  - مساعدة: ما التصاميم التي يفضلها اليابانيون أو المصريون أو الفرنسيون؟
- حاول أن تأتي بفكرة رياضة جديدة ليمارسها الناس.
- حاول أن تضع أفكاراً لأمور تستطيع القيام بها في أوقات فراغك.
- حاول أن تكتب قصيدة عن حياتك.
- حاول أن تضع خطة لإقامة حفلة.

طريقة الحيز الزمني

(الماضي والحاضر والمستقبل)

شرح الطريقة

سأقول لكم أمراً بديهياً، ولكن فكروا فيه للحظة. الوقت يمضي دائماً إلى الأمام، مما يعني أنه لا يمكن لنا أن نخرج من وقتنا الذي نعيش فيه لنجرب العيش في أوقات أخرى. ولكننا نستطيع مع ذلك أن نتأمل الماضي لنبحث عن طرق مبدعة لحل المشكلات التي تواجهنا. قد يبدو لك هذا الاقتراح سخيفاً لأن الإبداع يقتضي منا أن نأتي بأفكار جديدة ومبتكرة وأن نمضي قدماً إلى الأمام، لا أن نرجع خطواتٍ إلى الوراء. هذا كلام صحيح، ولكن ماذا لو كان يوجد نظام قديم نسيه الجميع بالرغم من أنه يصلح للاستخدام اليوم؟ فالشيء القديم ليس سيئاً بالضرورة. ربما جاء أحدهم من قبل بفكرة رائعة، ولكن لم يكتب لها النجاح لأنها كانت سابقة لأوانها. دراستك للماضي هي التي ستجعلك تعيد اكتشاف تلك الفكرة.

وإن كانت فكرة تأمل الماضي لا تستهويك، فيمكنك عندها أن تفعل العكس، أي أن تستشرف المستقبل. صحيح أن المستقبل لم يولد بعد، ولكن هذا لا يعني أنك لا تستطيع التنبؤ بما قد يحدث، لكي تأتي بأفكار جديدة. لا تتردد في أن تخمن وتتخيل وتفكر تفكيراً منطقياً جديراً بأن يجعل هذه التجربة مثمرة.

ما يميز هذه الطريقة هو أنها تجعلك تفكر بأسلوب مختلف تماماً. فبدلاً من التركيز على المشكلات في وضعها القائم، أنت تنظر إلى المشكلة من منظور زمني آخر، وتستحضر المعلومات والمواد التي كانت متاحة للناس في الماضي، أو ما قد يتاح لهم في المستقبل. تغيير المنظور الذي ترى الأمور من خلاله هو ما سيجعلك تأتي بأفكار جديدة ومثيرة.

متى نستخدم طريقة الحيز الزمني؟

هذه الطريقة فعالة عندما ترغب في تغيير نظام العمل الذي لم تغيره منذ فترة طويلة والذي أصبح لا يساير التطور الحاصل. عندها، يمكنك أن تجد في الأنظمة القديمة ما يلهمك لتأتي بشيء جديد. حتى لو كنت واثقاً جداً من كفاءة النظام الذي تستخدمه، فإن طريقة الحيز الزمني قد تساعدك. فأنت لا تعلم متى تتغير الأمور ويصبح نظامك غير صالح للاستخدام. التعلم من خبرات الناس السابقة في التعامل مع المشكلات سيجعلك تضيف تحسينات إلى النظام الذي تتبعه اليوم، ومن ثم تحصل على نتائج أفضل.

مثال

الإبداع هو طريقة من الطرق التي نتغلب بها على الشعور بالملل، إذاً فلنستخدمه في هذا المثال لحل مشكلة الملل. ماذا لو كنت تشعر يوماً بالملل وتحتاج إلى أن تقوم بشيء ما ولكنك لا تعلم ما هو؟ قد تسأل نفسك: ماذا كان الناس يفعلون في الماضي عندما يشعرون بالملل؟ ماذا كانوا يفعلون قبل اختراع التلفاز والراديو وكل أجهزة التكنولوجيا الحديثة؟

ولكي تعرف الإجابة، تقوم ببحث بسيط لتكتشف عشرات الأشياء التي كان الناس يمارسونها في الماضي. فهناك لعبة الورق التي نسيها اليوم معظم الناس. كذلك فإن كثيرين كانوا يحبون الجلوس لساعات يستمعون إلى مطرب يغني أو إلى عازف يعزف. وكانت لعبة النرد لعبة ذائعة الانتشار يلعبها الناس حتى في الأزمنة الغابرة. وكان تأمل الطبيعة والكائنات من الأمور التي يحرص الناس عليها. كذلك سترى أن كثيرين كانوا يجدون المتعة في كتاب، ولا يشعرون بالحاجة إلى كمبيوتر أو تلفاز لتسليتهم.

وبعد أن تكون قد عرفت كيف كان الناس في الماضي يتغلبون على الشعور بالملل، تخطر على بالك فكرة عجيبة. تقرر أن تقيم حفلة يكون شعارها «فترة ما قبل الخمسينيات» فتكون جميع الأنشطة في هذه الحفلة هي ذاتها التي كان الناس يمارسونها في تلك الحقبة. هذه الفكرة كفيلة بأن تقضي بها على شعورك بالملل، ويمكنك أن تطلب من أصدقائك أن يقترحوا أفكاراً أخرى تصب في الموضوع ذاته لجعل الحفلة ممتعة أكثر.

تمارين

استخدم طريقة الحيز الزمني عند حل التمارين التالية.

- عندما تحتاج إلى الإتيان بأفكارٍ لموضوع ما، حاول التفكير بالطريقة ذاتها التي كان سيفكر بها شخصٌ من الماضي.
  - مساعدة: إن كان عليك مثلاً أن تأتي بنوع موسيقى جديد تماماً، فسيكون من المفيد لك أن تستعرض تاريخ الموسيقى وتقرأ عن الموسيقى الكلاسيكية، وموسيقى الجاز، وموسيقى الروك،..إلخ.
- عندما تحتاج إلى الإتيان بأفكارٍ لموضوع ما، حاول التفكير في التغيرات التي قد تطرأ في المستقبل. على سبيل المثال، هل من الممكن أن تظهر مواد أفضل أو طرق عمل أكثر سلاسة أو نظريات جديدة؟
- إن واجهتك مشكلة ما، فحاول أن تتخيل كيف كان سيتعامل أسلافك معها.
- إن واجهتك مشكلة ما، فاسأل نفسك: كيف كنت سأتعامل مع هذه المشكلة لو كنت أصغر سناً؟ وكيف كنت سأحلها لو كنت أكبر سناً؟
- عندما تجد صعوبة في حل مشكلة ما، حاول أن تخدع عقلك بأن تقول لنفسك: «أنا الآن في المستقبل والمشكلة قد حُلَّت»، ثم حاول أن تتوقع كيف حُلَّت المشكلة.

طريقة التحرر من الأفكار المسبقة

شرح الطريقة

أياً كان المجال الذي تريد أن تبدع فيه، فقف قليلاً، واسترجع الأفكار والأعراف التي تحكم ذلك المجال. لكي تستطيع تطبيق طريقة التحرر من الأفكار المسبقة عليك قبل كل شيء أن تعرف تماماً مجال إبداعك والقيود التي تحكمه. فلكي تكسر تلك القيود، ينبغي أولاً أن تعرفها.

وما إن تعرفها وتصبح واضحة في ذهنك، فرغ عقلك منها. حاول أن تُقنع نفسك بأن تلك الأفكار المسبقة والأعراف غير موجودة أصلاً. إن كان ثمَّة عُرف ينص على أن أمراً ما يجب أن يتم دائماً بطريقة واحدة، فحاول أن تتجاهل ذلك العُرف تماماً، وتقوم بذلك الأمر بطريقة مختلفة.

على سبيل المثال، قد تعارف الناس على الهيئة التي ينبغي أن يكون عليها المنزل، كأن تكون له أبواب وشبابيك، وأن يكون من طابق واحد أو طابقين، وغيرها من الأمور. كذلك فإن الناس لديهم أفكار مسبقة عن أمور كثيرة مثل الطريقة التي تتم بها خدمتهم في المطاعم، والطريقة التي ينبغي أن يعاملوا بها الحيوانات الأليفة، والكيفية التي تربي بها الأم أطفالها، وغير ذلك من أمور. طريقة التحرر من الأفكار المسبقة تقتضي تجاهل كل تلك الأعراف والتفكير في طرق جديدة للتعامل مع الأمور.

تطبيق هذه الطريقة سيجعلك ذا أفق أوسع عند محاولتك الإتيان بحلول مبدعة. فإن كنت تفكر تحت وطأة تلك القيود والمسلَّمات،

فستأتي في الأغلب بذات الأفكار القديمة التي لا إبداع فيها. عندما تحصر نفسك في زاوية التفكير تلك، تكون قد خسرت مساحتك التي تملكها لتُعبر عن أفكارك المبدعة. ولكي تكون قادراً على استغلال تلك المساحة، عليك أن تكون مستعداً لأن تُنحي جانباً كل تلك القيود والأعراف.

متى نستخدم طريقة التحرر من الأفكار المسبقة؟

هي طريقة نافعة للشخص الخبير في عمله، الذي يعرف كل القوانين التي تحكم مجاله والذي يعمل وفق نظام واحد منذ مدة طويلة، ويعرف كل صغيرة وكبيرة فيه. فلكي يستطيع هذا الشخص أن يأتي بأفكار مبدعة، ينبغي أن يكون مستعداً لأن يضع جانباً كل الأعراف والقوانين التي تحكم سير العمل، ويحاول التفكير في طرق جديدة، لم يعرها اهتماماً من قبل.

مثال

لنفترض أنك تحاول الإتيان بأفكار لصنع سيارة جديدة. توجد أشياءٌ كثيرة يُفترض وجودها في السيارات، لكن عليك أن ترمي جانباً كل تلك المسلَّمات، وتحاول الإتيان بأفكار جديدة. ركز أولاً على القطع التي تتكون منها السيارة، بدلاً من التفكير في الشكل العام الذي ستكون عليه السيارة الجديدة.

يمكننا أن نبدأ من مقود السيارة، حاول أن تلغي فكرة أن كل السيارات يجب أن يكون فيها مقود. قد تفكر مثلاً في أن تستخدم عوضاً منه عصا تحكم، كتلك الموجودة في ألعاب الفيديو وبعض الطائرات المروحية. وماذا عن الإطارات؟ هل عليها أن تأخذ الشكل المستدير المتعارف عليه؟ ألا يمكن أن تكون بشكل كروي كامل أو بشكل مبتكر آخر؟ كذلك قد تفكر في إضافة رغوة أو مادة هلامية إلى الوسادة الهوائية الموجودة في مقود السيارة لتساعد في تقليل خطر الحوادث.

كما ترى، فإنك عندما تطبق طريقة التحرر من الأفكار المسبقة، ستجتمع لديك أفكار عجيبة وغريبة، لأنك تحاول كسر النمط المتعارف عليه. ولا بأس بذلك، فأنت بحاجة إلى كل ما من شأنه أن يزيد من مستوى الإبداع لديك.

تمارين

استخدم طريقة التحرر من الأفكار المسبقة عند حل التمارين التالية.

- كيف يمكن أن تصمم منزلاً مختلفاً؟
  - مساعدة: فكر في استبدال النوافذ ليحل محلها شيء آخر، وفكر في واجهة غير تقليدية للمنزل.
- كيف يمكن أن تصنع شطيرة برغر مختلفة؟
- ما الاستخدامات الأخرى الممكنة لمشبك الورق؟
- هل يمكنك أن تقترح أفكاراً لصنع قبعة مختلفة؟
- هل يمكنك أن تقترح أفكاراً لصنع كرسي مختلف؟

طريقة الشيء الأساسي

شرح الطريقة

أثناء بحثك عن فكرة جديدة، أو مواجهتك لمشكلة تتعلق بالإبداع، اسأل نفسك هذا السؤال: «ما الشيء الأساسي الذي يجب أن يكون لديَّ لأحل هذه المشكلة؟» فكّر في الشيء الذي من دونه لا تستطيع حل المشكلة التي أمامك. ولا تبالغ كثيراً في تحديد ذلك الشيء، فأحياناً نظن أننا بحاجة إلى أشياء معينة، ونحن في الحقيقة لا نحتاج إليها. احرص على أن تحدد الأشياء الأساسية حقاً.

هذه الطريقة ستجعلك تركز على دقائق المشكلة. فالتفكير بشكل عام دون النظر إلى التفاصيل قد يجعلك تشطح بفكرك إلى أمورٍ لا تمت بصلة إلى المشكلة التي تواجهك. عندما تطبق طريقة الشيء الأساسي، ستكون قادراً على تحديد الأشياء المهمة التي يجب إنجازها لكي ترى فكرتك النور.

هذه الطريقة هي عكس طريقة التحرر من الأفكار المسبقة. فبدلاً من التخلص من الأفكار المسبقة التي لديك، عليك هنا أن تتشبث بالأمور الأساسية التي لن يسير العمل إلا بها. عند تطبيق طريقة التحرر من الأفكار المسبقة، لا يعنينا أن نبقي على أي فكرة تقليدية. على سبيل المثال قد نفكر في صنع شطيرة برغر باستخدام رقائق الخبز وليس خبز البرغر المستدير، وقد نستخدم جبنة الصويا عوضاً عن شرائح اللحم. أما إن طبقنا طريقة الشيء الأساسي، فعلينا عندها أن نبقي على الأشياء

الأساسية التي توجد في أي شطيرة برغر تقليدية، كشريحة اللحم والخس والطماطم، وقد نغير - إن رغبنا - الأشياء الأخرى غير الأساسية. طريقة الشيء الأساسي تضمن لك الحصول على حلول مناسبة وعملية.

متى نستخدم طريقة الشيء الأساسي؟

هذه الطريقة مناسبة للشخص الذي يواجه مشكلة جدية تحتاج إلى حل سريع. بعبارة أخرى، إن كنت واقعاً تحت ضغط لإنجاز مهمة ما بسرعة، وعلى أكمل وجه، فهذه الطريقة ستساعدك. فعندما تضع الأشياء الأساسية فقط في الحسبان، ستتجنب السير في اتجاهات تُضيع وقتك وجهدك.

مثال

لنفترض أنك عضو في لجنة ترغب في استصلاح أراضي الكواكب الأخرى وإعدادها للزراعة. هذه اللجنة أطلقت مشروعاً يهدف إلى إرساء الحياة البشرية على كوكب المريخ، وكواكب أخرى في المستقبل. ولأن هذا مشروع كبير للجنة لها وزنها، فأنت تقرر ألا تنظر إلا إلى العناصر الأساسية، آملاً أن تأتي بأفكار تُمكّن اللجنة من استصلاح أراضي الكواكب الأخرى.

تسأل نفسك: «ما الأشياء الأساسية التي تمكننا من زراعة النباتات على الكواكب الأخرى؟» أشياء لا يمكن أن تتم هذه المهمة إلا بها. بالطبع، نحتاج إلى الماء وضوء الشمس أو أي ضوء صناعي مناسب. قد تفكر في التربة أيضاً، ولكن تقول لنفسك إنها ليست بتلك الأهمية لأنه توجد نباتات مائية لا تحتاج إلى التربة. النباتات المائية هي نباتات تزرع في الحصى أو الماء، وتُضاف إليها عناصر غذائية معينة، ولا تحتاج إلى تربة.

إلى الآن تبدو المهمة سهلة، لأنك تظن أنك حددت الأشياء الأساسية التي تحتاج إليها. ثم تتذكر شيئاً غاب عن ذهنك، وهو أنك تحتاج إلى جاذبية معينة كي تستطيع أن تغرس نبتة على كوكب آخر. أنت لا تعلم قوة الجاذبية التي تحتاج إليها، ولكنك تخمن أنها ينبغي أن تكون قريبة من قوة جاذبية الأرض. ثم تقرر التواصل مع علماء فلك، ليقوموا بتجارب لمعرفة قوة الجاذبية التي تحتاج إليها أغلب النباتات. وبهذا تكون قد حددت كل الأساسيات التي ستمكنك من استصلاح أراضي الكواكب الأخرى للزراعة.

والآن تشعر بأنك تسير في الاتجاه الصحيح لأنك حددت كل الأشياء الضرورية، ولم يبق إلا أن تأتي بأفكار مبدعة لزراعة النباتات على الكواكب الأخرى. من الأشياء الأساسية الأخرى التي قد تحتاج إلى أن تضعها في الحسبان: درجة الحرارة المناسبة، ومستوى الإشعاع المطلوب، والعناصر الغذائية التي تحتاج إليها النباتات، والبكتيريا أو أي كائنات أخرى دقيقة تُعزز نمو النبات.

طريقة الشيء الأساسي هي طريقة توفر عليك الوقت والجهد، لأنها تجعلك تحدد الأشياء الأساسية لتستطيع حل المشكلة التي أمامك. ثم بعد ذلك يمكنك استخدام طاقتك الإبداعية لتفكر في طريقة توفر بها الأشياء الأساسية التي حددتها. في هذا المثال، قد تحتاج إلى صنع أجهزة متطورة والإتيان بأنظمة جديدة لتستطيع تحقيق هدفك، وهو زراعة النباتات على الكواكب الأخرى.

تمارين

استخدم طريقة الشيء الأساسي عند حل التمارين التالية.

- ما الأفكار الممكنة لتحضير طبق مميز؟ ما الشيء الأساسي الذي لن يكتمل هذا الطبق إلا به؟
    - مساعدة: مثلاً إن فكرت في تحضير طبق السباغيتي، فإن الأشياء الأساسية هي اللحم المفروم وعيدان السباغيتي الرفيعة وصلصة الطماطم.
- ما الأفكار الممكنة لاختراع لعبة جديدة؟
- ما الأفكار الممكنة لتصميم بزة سباحة مبتكرة؟
- ما الأفكار الممكنة لابتكار شخصية كائن فضائي جديدة (كتلك الشخصيات التي نراها في أفلام الخيال العلمي)؟
- ما الأفكار الممكنة لوضع نوع جديد من الموسيقى؟

طريقة التعلم من الطبيعة

شرح الطريقة

السبب الذي يجعل الطبيعة ملهمة لنا هو أنها تتعامل مع مشكلات مماثلة لتلك التي يواجهها البشر في حياتهم. خذ البعوضة مثلاً، فبرغم أنها حشرة مزعجة، فإنها قد تكون هي التي ألهمت الإنسان ليخترع الحقن الطبية. البعوضة نفسها تعمل كحقنة في الطبيعة، فالإبرة التي في فمها قد صُممت بطريقة تجعلها قادرة على امتصاص الدم من ضحاياها. والحقن الطبية تعمل بالآلية ذاتها، ولكن لأغراض طبية.

مثال آخر هو السدود المائية. فالسدود اخترعتها القنادس قبل أن يخترعها الإنسان، وقد يكون الإنسان أخذ الفكرة منها. كذلك فإن التطور الحاصل في مجال الطيران والطائرات كان سببه دراسة الكيفية التي تطير بها الطيور. أيضاً، نحن نسخر ما تنتجه الطبيعة لحاجاتنا، فنتغذى على الثمار والمحاصيل الزراعية، ونصنع الورق من لحاء الأشجار، ونستخلص الدواء من النباتات الطبية، ومن دودة القز نستخرج الحرير الذي نستخدمه في ملابسنا.

طريقة التعلم من الطبيعة تقتضي منا أن نتأمل الكائنات الحية لكي نرى كيف تتأقلم مع المشكلات التي تواجهها ومن ثم نستطيع نحن أن نأتي بحلول لمشكلاتنا. تستطيع أن تتأمل الطبيعة خارج المنزل أو داخله، وذلك بمشاهدة أفلام وثائقية عن الطبيعة. قد تشاهد أفلاماً عن

الحيوانات أو الحشرات أو النباتات. ستحصل على كثير من المعلومات عن الطبيعة إن كتبت في خانة بحث محرك «غوغل»:

[creative problem] + «nature's solution»

أو

[creative problem] + «animal kingdom»

عندما ترى كيف تتأقلم الطبيعة مع مشكلات مشابهة للمشكلات التي تواجهك، ستكون قادراً على الإتيان بأفكار جديدة ومثيرة. أحياناً لا نكتشف أن ثمَّة حلاً للمشكلة التي تواجهنا إلى أن نشاهد حلها في الطبيعة. وعلى مر العصور، وجد الإنسان حلولاً لمشكلاته في الطبيعة بمحض الصدفة. ولكننا لا نريد أن نعتمد على عنصر المصادفة فحسب، بل ينبغي أن نسعى للتعلم بأن نشاهد برامج تلفزيونية عن الطبيعة، أو نذهب بأنفسنا لنتأمل الطبيعة عن كثب. ستفيدك هذه الطريقة أكثر إن كانت في ذهنك مشكلة ما تبحث لها عن حل.

متى نستخدم طريقة التعلم من الطبيعة؟

إن كنت تعمل في مجال الهندسة أو البناء أو التصميم، فإن هذه الطريقة ستلهمك كثيراً. قد تفكر في دراسة الحيوانات التي تبني بيوتها بأنفسها أو تلك التي تتميز بقدرات لإنجاز أمور لا نقوى نحن البشر على إنجازها.

على سبيل المثال، توجد نباتات تساعد على علاج بعض الأمراض، ويمكن لمن يعمل في المجال الطبي وتصنيع الأدوية أن يستفيد من دراسته لخواص تلك النباتات.

كذلك، وُجد أن بعض أنواع قناديل البحر لا تشيخ أبداً (1)، فهي ما إن تكبر حتى تصغر من جديد وهكذا دواليك. قد تنفق تلك القناديل فقط بسبب الحيوانات التي تفترسها وليس بسبب تقدمها في السن. فيمكن لمن يسعى إلى صناعة منتجات تساعد على طول العمر والاحتفاظ بالشباب أن يستلهم أفكاراً مفيدة من دراسته لتلك الكائنات.

(1) قنديل البحر الخالد أو Turritopsis dohrnii.

مثال

لنفترض أنك تريد حلاً لمشكلة شح مياه الشرب النظيفة في العالم. تقول لنفسك:«الحل لا يكمن في تنظيف المياه القذرة»، لأنه لم يسبق لك أن رأيت حيواناً في الطبيعة ينظف الماء قبل شربه، أو يستخدم مصفاة كما يفعل الإنسان. ما يفعله الحيوان هو البحث عن مصادر مياه نظيفة قدر الإمكان. لذلك تحاول حل المشكلة بأن تصب تركيزك على البحث عن مصادر المياه النظيفة.

فتبدأ في التفكير في الطريقة التي تحصل بها الكائنات على المياه. ثم تتذكر أن نباتات الصبار في صحارى العالم كله تجمع الماء بداخلها الآن. بالطبع لا يمكنك أن تذهب إلى الصحراء كلما أردت شرب ماء عذب لتستخرجه من الصبار. هذه الطريقة غير عملية، ولن يقوم بها أحد، لأنه سيموت عطشاً قبل أن يصل إلى غايته. غير أن الصبار يلهمك صنع شيء شبيه به ولكن من دون أشواك. شيء يجمع ماء المطر بداخله ويحفظه من المُلوثات الخارجية. تقول لنفسك: مادام الصبار قادراً على حفظ المياه بداخله، فاختراع آلة شبيهة بالصبار هو أمر ممكن. بالطبع، توجد أمور أخرى ينبغي أخذها في الحسبان، ولكنك حتى الآن تسير في الاتجاه الصحيح. ما أود قوله هو أن ملاحظتنا الدقيقة للطبيعة، وللطريقة التي تتأقلم بها الكائنات مع ظروفها، ستجعلنا نأتي بأفكار مبدعة لحل المشكلات التي تواجهنا.

تمارين

استخدم طريقة التعلم من الطبيعة عند حل التمارين التالية.

- كيف يمكن أن تصنع جهازاً آمناً لإخافة الحيوانات المفترسة؟
  - مساعدة: حاول أن تتذكر طرق الحيوانات في إخافة بعضها بعضاً. مثلاً ماذا يفعل الفيل لإبعاد الحيوانات المفترسة عنه؟ أو ماذا يفعل الأسد؟
- كيف يمكن أن تصنع مظلة هبوط (باراشوت)؟
- كيف يمكن أن تصنع آلة حفر؟
- كيف يمكن أن تصنع حذاء غوص؟
- كيف يمكن أن تتسلق جانب مبنى دون استخدام سلالم؟

طريقة وجهات النظر الأخرى

شرح الطريقة

عند انشغالنا في حل المشكلات المرتبطة بالإبداع، كثيراً ما نجد أنفسنا سجيني وجهة نظر واحدة. لكن، من المفيد أحياناً أن نعرف كيف سينظر الآخرون إلى المشكلة التي بين أيدينا. على سبيل المثال، إن كنت تنوي صنع منتج جديد، فحاول أن تتخيل كيف سيكون تقبل الناس لهذا المنتج. يمكنك الاستعانة بخبير ـ لا يتفق دائماً معك ـ لسؤاله عن رأيه في المنتج الذي تنوي إصداره. وإن لم تجد خبيراً تسأله، حاول على الأقل أن تتوقع ماذا يمكن أن تكون وجهة نظره. كذلك ضع في حسبانك وجهة نظر المستثمر. حتى إن لم يكن لديك مستثمرون، اسأل نفسك: هل سيتشجع أحد لتمويل منتج كهذا؟

أخذ وجهات النظر الأخرى في الحسبان يساعدنا على الخروج من إطار المنظور الواحد. الاعتداد بآرائنا الشخصية هو أمر طبيعي ولا يدل بالضرورة على الأنانية، بل هو فطرة في الإنسان الذي يرى العالم من منظوره هو، ويحكم على كل ما يراه وفقاً لذلك المنظور. توقع وجهات النظر المغايرة هو أمر تكتسبه بالمران، وهو جدير بأن تبذل فيه وقتك وجهدك. وعندها، لن تقتصر قدراتك على الإتيان بالأفكار فحسب، بل على تقييمها أيضاً.

وعندما تحاول توقع وجهة النظر المغايرة، افعل ذلك بصدقية كاملة. حاول فعلاً أن تضع نفسك مكان الآخر، وتفكر بطريقته. واحرص عندها

على أن تنحي وجهة نظرك الشخصية جانباً. ومع الوقت، ستكون قادراً حقاً على أن تفكر بعقل الآخر وتفهم دوافع ما يقوم به والمخاوف التي قد تكون لديه. وبعد أن تقوم بذلك، ستستطيع أن تجمع حلولاً للمشكلات التي بين يديك.

لكي تكون قادراً على معرفة وجهة نظر الآخر، تخيل أنك مكانه، واسأل نفسك: ما أكبر مخاوفي؟ ما هدفي الأول؟ ما رأيي في هذا المنتج الذي أمامي؟ هل هو مناسب للأغنياء أم ذوي الدخل المحدود؟ للمتعلمين أم البسطاء؟ لسكان المدن أم الأرياف؟

متى نستخدم طريقة وجهات النظر الأخرى؟

هـذه الطريقـة مفيـدة للشـخص الـذي لا يـرى الأشـياء إلا مـن منظـوره هـو، ويصعـب عليـه أن يتبنـى طـرق تفكيـرٍ أخـرى. فـإن كنـت محاطـاً بأنـاس يفكـرون بـذات الطريقـة التـي تفكـر بهـا، فاحـرص علـى أن تأخـذ فـي الحسـبان وجهـات النظـر المغايـرة. فالنـاس المحيطـون بـك يجعلونـك تظـن أن الجميـع يفكـر بطريقتـك، وهـذا ليـس صحيحـاً بالطبـع. ولكيـلا تُفاجأ لاحقاً بآراء النـاس التـي قـد تختلـف تمامـاً معـك، عليـك منـذ البدايـة أن تضـع وجهـات النظـر الأخـرى فـي الحسـبان، لكيـلا تكـون قـد تجاهلـت أمـوراً هـي فـي غايـة الأهميـة.

مثال

إن كنت تنوي تصميم سيارة جديدة، وكان هدفك الأساسي أن تكون السيارة ذات شكل عصري، فلا تفترض أن الشكل هو ما يهم كل الناس. تمهل وحاول أن تفكر في أولويات الناس عندما يقررون شراء سيارة. سترى أن أول ما يفكر فيه بعضهم هو معايير السلامة في السيارة التي سيشترونها، بينما قد يهتم آخرون بالشكل أو بأشياء أخرى، كمعدل استهلاك السيارة للوقود. سيفكر الآباء في اقتناء سيارة واسعة تكفي العائلة، بينما قد يفكر آخرون في اقتناء سيارة بها مساحة خلفية كافية لوضع مستلزماتهم. بالطبع، أنت لن تستطيع تصميم سيارة ترضي جميع الأذواق، ولكن إن أخذت وجهات النظر المختلفة في حسبانك فستتمكن على الأقل من تصميم شيء يرضي أغلب الناس، بدلاً من إرضاء الفئة القليلة التي لا يهمها إلا الشكل فقط.

في هذا المثال، قد تفكر في تصميم سيارة تجمع مواصفات عدة، لترضي أكبر شريحة ممكنة من الناس. فيستقر رأيك على تصميم سيارة متوسطة الحجم، لكيلا تستهلك الكثير من الوقود، وفي الوقت ذاته يكون صندوقها الخلفي ذا سعة كافية لنقل الأغراض. تحرص كذلك على أن تكون معايير السلامة في السيارة عالية، ولا سيَّما للأطفال. ثم تجعلها ـ قدر المستطاع ـ ذات شكل جميل قادر على جذب المشترين. إذاً، تأخذ الشكل الخارجي في الحسبان، لكن لا تجعله همك الوحيد.

ولكي تجعل السيارة ملائمة لأغلب الناس، ستواجهك مشكلات تحتاج إلى حل، لأنك تحاول إرضاء وجهات نظر مختلفة تماماً. على

سبيل المثال، أنت تحاول تصميم سيارة تناسب شاباً أعزب ضخم البنية، وتناسب أيضاً امرأة ضئيلة الجسم ولها أطفال. قد تسأل نفسك أسئلة مثل: «ما الشيء الذي يريده أغلب الناس عندما يفكرون في شراء سيارة؟» أو «هل يوجد تصميم واحد قادر على إرضاء الرجل الأعزب والمرأة ذات الأطفال؟».

طريقة وجهات النظر الأخرى ستحفز ذهنك إلى محاولة الإتيان بأفكار مبدعة لتستطيع إرضاء الأذواق المختلفة. لا شك في أنك أحياناً قد تقرر أن تستهدف فئة محددة وتتجاهل الفئات الأخرى. وحينها، يمكنك استخدام طريقة وجهات النظر الأخرى لتتوقع وجهات نظر المستثمرين أو المنافسين بدلاً من المستهلكين.

تمارين

استخدم طريقة وجهات النظر الأخرى عند حل التمارين التالية. ضع في حسبانك وجهة نظر المستهلكين، أو وجهة نظر زملائك في العمل، أو وجهة نظر الآباء، أو غيرهم.

- هل يمكن أن تأتي بفكرة لصنع منبه للأطفال دون سن الخامسة؟ تذكر أن الأطفال في هذه الفئة العمرية يصعب إيقاظهم صباحاً، كذلك فإن حاسة السمع لديهم مرهفة، وقد يدفعهم صوت المنبه العالي إلى البكاء. أعلم أن هذا الاختراع لا حاجة لنا به لأن الآباء هم من يوقظون أطفالهم صباحاً، لا المنبه، ولكن التمرين مفيد لتحفيز التفكير الإبداعي.
  - مساعدة: الأطفال يحبون المكافآت، لذا حاول صنع منبه يمنح مكافأة لمن يستيقظ صباحاً بنفسه ويضغط على زر الإيقاف.
- هل يمكن أن تأتي بفكرة تساعد المدخنين المزمنين على الإقلاع عن التدخين؟
- هل يمكن أن تأتي بفكرة لصنع آلة موسيقية تعزف عليها القطط أو الكلاب؟
- هل يمكن أن تأتي بفكرة مناسبة لحل مشكلة النفايات التي باتت تشكل تهديداً للحياة البرية؟
- حاول أن تتأمل حياة بعض الأشخاص أو الحيوانات وتتخيل الحياة من منظورهم هم. احرص على أن تنحي معتقداتك الشخصية جانباً وأنت تقوم بذلك.

الطريقة العكسية

شرح الطريقة

أيـاً كانـت المشـكلة التـي تحـاول حلهـا، فَجَـرّب أن تنظـر إليهـا مـن الجانـب المعاكـس. هـذا يمكـن أن يجعلـك تفكـر فـي حلـولٍ مـا كنـت لتفكـر فيهـا لـو لـم تتنـاول المشـكلة مـن ذلـك الجانـب.

قلـب المشـكلة أو النظـر إليهـا مـن الجانـب المعاكـس هـو أمـر لا يفكـر فـي القيـام بـه كثيـر منـا. وغالبـاً، سـيبدو الأمـر سـخيفاً وغيـر مفيـد. ولكنهـا طريقـة تسـتحق التجربـة؛ لأنهـا تسـاعد علـى النظـر إلـى الأمـور بصـورةٍ مختلفـة، ومـن ثـم تسـاعد علـى الإتيـان بأفـكار جديـدة.

يعتمـد استخدام هـذه الطريقـة علـى نـوع المشـكلة التـي بيـن يديـك، أو علـى الشـيء الـذي تحـاول إنجـازه. علـى سـبيل المثـال، إن كنـت روائيـاً، فقـد تسـتخدم هـذه الطريقـة لتصـوغ النهايـة قبـل أن تشـرع فـي كتابـة الروايـة. وإن كنـت مصمـم سـاعات، فقـد تسـتخدم هـذه الطريقـة فتفكـك السـاعات المصنعـة سـابقاً لكـي تـرى كيـف تـم تصميمهـا وتجميـع أجزائهـا. وإن كنـت تاجـراً تحـاول توفيـر خدمـة جديـدة فـي السـوق، فقـد تسـتخدم هـذه الطريقـة بـألا تقـدم خدمـة مشـابهة لتلـك التـي يقدمهـا منافسـوك، بل تسـأل المسـتهلك عـن الشـيء الـذي يحتـاج إليـه وتقدمـه لـه. بذلـك تكـون قـد ركَّـزت علـى وجهـة نظـر المسـتهلك، بـدلاً مـن التركيـز علـى وجهـة نظـرك التجاريـة.

أيـاً كانـت المشـكلة التـي تسـعى إلـى حلهـا، فتناولهـا مـن الجانـب المعاكـس للجانـب الـذي يُفتـرض أن تتناولهـا منـه.

متى نستخدم الطريقة العكسية؟

هـذه الطريقـة مفيـدة للشـخص الـذي يحـاول حـل مشـكلة مسـتعصية، لـم تنفـع معهـا جميـع المحـاولات الأخـرى. عندهـا، قـد يكـون مـن المفيـد أن تـرى الأمـور مـن جانبهـا المعاكـس. لا أنصـح باسـتخدام هـذه الطريقـة إلا بعـد أن تكـون قـد جربـت الطـرق الأخـرى ولـم تحصـل علـى النتائـج التـي ترجوهـا.

مثال

لنفترض أنك تعمل في شركة لتصنيع لوازم المطبخ، وطُلب منك أن تقوم بتصميم قفازات عازلة لدرجات الحرارة العالية جداً، تفوق حمايتها ما هو متعارف عليه. الهدف من هذا المنتج هو الحصول على زبائن جُدد، لا سيَّما أصحاب البشرة الحساسة، أو أولئك الذين يقضون وقتاً طويلاً في المطبخ ويخافون أن تتعرض أيديهم لحروق أثناء الطبخ.

عندما تُسند إلينا مهمة ما، فإننا عادة نحاول إنجازها بأسلوب مباشر. هذا مقبول عند حل المشكلات التقليدية، كالمعادلات الرياضية مثلاً. لكن المهمات المتعلقة بالإبداع لا ينبغي إنجازها بهذه الطريقة. فالطريقة المباشرة لتصميم قفازات عازلة هي أن تحاول الإتيان بأفكار لجعل القفاز أكثر مقاومة لدرجات الحرارة العالية.

ولكن الطريقة العكسية تتطلب منا أن نعكس المشكلة، ونراها من الجانب الآخر، وهذا ما سيقودنا إلى اتجاهات كثيرة ومختلفة. فلنعكس المشكلة إذاً، وبدلاً من أن نصب تفكيرنا كله في القفاز، لنفكر في الأشياء الساخنة التي سيلامسها القفاز عند الطبخ. فأنت عادة تضع القدر على النار، وعندما تسخن، ترتدي القفاز لتقي يديك من الاحتراق. ولكن هل تحتاج حقاً إلى قفازات أثناء الطبخ؟ ألا يمكن أن تستخدم قدراً عازلة للحرارة؟

هذه الطريقة في التفكير ستجعلك تركّز على القدر، بدلاً من القفاز. وهذا سيفتح آفاقاً جديدة للشركة. على سبيل المثال، قد تفكر الشركة في صنع قفاز جديد وقدر جديدة، أو قد تكتفي بصنع قدر عازلة للحرارة، ولا حاجة إلى صنع قفازات حينها؛ لأن المشكلة ستكون قد حُلت.

تمارين

استخدم الطريقة العكسية عند حل التمارين التالية.

- إن كنت بطيئاً في الكتابة على الكمبيوتر، فما الأفكار التي يمكن أن تأتي بها لتزيد من عدد الكلمات التي تكتبها في الدقيقة؟
  - مساعدة: بدلاً من التفكير في محاولة زيادة سرعتك، عليك أن تتناول المشكلة من جانبها المعاكس، بأن تحاول تصميم لوحة مفاتيح من شأنها جعل الكتابة عليها أسرع. أو قد تفكر في اختراع طريقة تُمكنك من إملاء النص على برنامج معين، يقوم هو بكتابته بالنيابة عنك.
- عندما تحاول حل سؤال ما، اعكس السؤال الذي أمامك. على سبيل المثال، بدلاً من أن تقول: «كيف يمكن أن أصل إلى الموقع الذي سيجتمع فيه أصحابي باستخدام هذه الخريطة؟» قل: «كيف يمكن أن أصل إلى الموقع الذي سيجتمع فيه أصحابي دون استخدام الخريطة؟»
- إن كان لديك شيء تستخدمه يومياً لأداء مهمة ما، فحاول أن تأتي بطريقة تؤدي بها المهمة ذاتها، ولكن دون استخدام ذلك الشيء. تخيل أن ذلك الشيء لم يعد له وجود.
- في المهمة المقبلة التي ينبغي عليك إنجازها، ابدأ المهمة ـ إن أمكن ـ من النهاية وصولاً إلى البداية.
- حاول أن تتخيل نهاية وبداية مختلفتين لفيلم شاهدته، على أن يبدأ الفيلم بالنهاية وينتهي بالبداية.

طريقة تغيير النظام

شرح الطريقة

ربما تكون قد جربت الطريقة العكسية ولم تُجْدِ معك نفعاً. في هذه الحالة، بدلاً من تناول المشكلة من جانبها المعاكس، قم بتغيير النظام الذي تسير وفقاً له.

الناس بشكل عام منظمون للغاية، فكل شيء في حياتنا يتبع نظاماً محدداً. فكّر في المنتجات والخدمات التي نستخدمها يومياً، كلما كانت تلك المنتجات والخدمات تسير وفق نظام ما، أغرانا ذلك بالاستمرار في استخدامها. إن النظام أمر يحبه الجميع، لأنه يزيد من كفاءة عملنا، ويساعدنا على تحقيق أهدافنا.

غير أن النظام قد يكون أحياناً عقبة في طريقنا عندما نحاول الإتيان بأفكار مبدعة. فهو يجعلنا عالقين في استخدام طريقة واحدة لا غير، وهذا قد يحد من قدرتنا على الإتيان بأفكار جديدة ومثيرة. فمن الأمور التي تساعد على الإبداع ألا نحصر المشكلة في قالب واحد، وأن نكون على استعداد لأن ننظر إلى المشكلة من منظور أوسع.

في هذه الطريقة، كل ما عليك فعله هو أن تغير النظام الذي تسير وفقاً له. فكّر في أن تغير تماماً من خطوات سير العمل، وألا تستمر في استخدام الأسلوب ذاته الذي اعتدته. وحتى إن خطر على بالك أن تتبع نظاماً يبدو سخيفاً لأول وهلة، امنح نفسك فرصة تجربته. وبمجرد تغيير

خطـوات سـير العمـل، كأن تجعـل الخطـوة الأولـى هـي الثانيـة أو الخطـوة الثالثـة هـي الأولـى، سـتخطر علـى بالـك أفـكار رائعـة وجديـدة كنـت قـد غفلـت عنهـا تمامـاً قبـل ذلـك.

متى نستخدم طريقة تغيير النظام؟

كما ذكرت آنفاً، فإن هذه الطريقة مفيدة إن كنت قد جربت الطريقة العكسية ولم تُجْدِ معك نفعاً. كذلك فإنها طريقة نافعة إن كنت تعمل في مشروع إبداعي يعتمد على سلسلة خطوات متعارف عليها. قد تكون تلك الخطوات قد تعارف عليها الناس إلى الحد الذي جعلهم لا يفكرون في تغييرها قط. وهنا تأتي فرصتك في أن تعيد النظر في تسلسل تلك الخطوات لتأتي بشيءٍ جديد.

مثال

لنفترض أنك تعمل في شركة تقوم بتصميم بطاقات معايدة، وعملك هو صياغة عبارات التهنئة التي تكتب على تلك البطاقات. وكل يوم، ينبغي عليك أن تكتب عبارات تهنئة لمناسبات مختلفة، كمناسبة رأس السنة وأعياد الميلاد ومناسبة التخرج في الجامعة وغيرها. وبعد أن تصوغ عبارات التهنئة يقوم مصمم الغرافيك في الشركة برسم صورة مناسبة للكلمات التي كتبتها. فمهمتك، باختصار، هي الإتيان بعبارات جميلة وجديدة لتتم طباعتها على البطاقة، مع إضافة رسوم مناسبة. ولكن مع الوقت تشعر بأنك غير قادر على الإتيان بشيء جديد، فقد كتبت الكثير من عبارات التهنئة في كل المناسبات، واستنفدت كل أفكارك.

تقرر أن تغير نظام عملك، فبدلاً من كتابة نص التهنئة ليقوم مصمم الغرافيك برسم صورة مناسبة له، تطلب من المصمم أن يرسم لك الصورة أولاً، لتحاول الإتيان بكلام مناسب لها. وبهذه الطريقة تصبح قادراً على كتابة نصوص مبتكرة وملائمة أكثر للصور التي صُممت للمناسبة.

تمارين

استخدم طريقة تغيير النظام عند حل التمارين التالية.

- اسأل نفسك إن كان النظام الذي يسير عليه برنامجك اليومي هو فعلاً النظام الأمثل. هل يمكن أن تغير ترتيب المهام لتحصل على نتائج أفضل؟
  - مساعدة: هل تستطيع أن تقوم بمهمة ما في المساء بدلاً من أن تؤديها في الصباح؟ أو أن تؤدي عملاً ما في الصباح بدلاً من أن تؤديه في المساء؟
- اكتب قصة قصيرة، وبعد الانتهاء منها اسأل نفسك إن كان تغيير ترتيب الأحداث يجعلها أفضل.
- ارسم رسمة وفق نظام معين، كأن ترسم من اليسار إلى اليمين، أو أن ترسم الشكل الأساسي أولاً ثم ترسم الخلفية. ثم قم برسم الرسمة ذاتها ولكن مع تغيير النظام (من اليمين إلى اليسار، وتبدأ بالخلفية ثم الشكل الأساسي) وقارن بين الرسمتين.
- قم بتفكيك أي جهاز بسيط لديك ثم أعد تركيبه، ولكن وفق نسق مختلف.
- جرّب أن تغير نظام الأمور البسيطة في حياتك، كأن تغير الطريق الذي تسلكه إلى عملك، أو النظام الذي يسير عليه جدولك اليومي، أو الأشياء التي اعتدت أن تقوم بها عندما تكون على موعد غرامي.

طريقة الاختصار وطريقة التفصيل

شرح الطريقتين

عندما تواجه مشكلة مرتبطة بالإبداع، حاول أن تعيد تعريف المشكلة التي أمامك. إن كانت للمشكلة تفاصيل كثيرة، فحاول أن تجعل طريقة تعاملك مع المشكلة مختصرة أكثر، وأن تنظر إلى أجزاء المشكلة الأساسية فقط. على سبيل المثال، بدلاً من حل المشكلة باتباع 20 خطوة، حاول أن تحلها باتباع 3 خطوات رئيسة. هذا سيجعلك تعيد صياغة المشكلة من جديد، مما سيساعدك على الإتيان بأفكار أكثر.

أما إن كنت تتبع أسلوباً بسيطاً وغير معقد لحل المشكلة التي أمامك، فحاول أن تنظر إليها من خلال عدسة مكبرة. قم بدراسة كل التفاصيل، حتى إن كان بعضها لا يرتبط ارتباطاً مباشراً بالمشكلة. فقد تجد شيئاً مخبأً بين التفاصيل يساعدك على التوصل إلى الحل. إن كنت قد قرأت قصة المحقق شرلوك هولمز أو شاهدت الفيلم، فلا بد أنك تذكر كيف أن طريقته في تتبع كل التفاصيل الدقيقة ـ والتي تكون أحياناً بعيدة كل البعد عن المشكلة ـ ساعدته على التوصل إلى حلول للجرائم التي كان يحقق فيها.

إن كنت لا تعرف على وجه اليقين هل عليك استخدام طريقة الاختصار أم طريقة التفصيل عند محاولة حل مشكلة ما، فجرب الطريقتين، وبذلك ستكون قد أحطت بالمشكلة من جميع جوانبها.

متى نستخدم طريقة الاختصار وطريقة التفصيل؟

إن كنت قد اعتدت التعامل مع مشكلات بسيطة لا تسمح لك بإظهار مواهبك، فسيكون من المفيد لك أن تجرب طريقة التفصيل، أما إن كنت تتعامل مع مشكلات بها تفاصيل كثيرة ومعقدة، فإن طريقة الاختصار ستكون هي الأنسب لك.

مثال

لنفترض أنك ممثل كوميدي، وعندك قائمة بالنكات التي تود إلقاءها في عرضٍ مسرحي. وأثناء استعدادك للعرض، تكتشف أن النكات ليست بتلك الطرافة التي تخيلتها. فعلى الرغم من أن النص الذي أمامك مليء بالنكات، فإنك تشعر بأنها ليست بالمستوى المطلوب.

تُقرر أن تنظر بإمعان إلى تفاصيل كل نكتة على حدة، وتتأمل كل كلمة فيها. وبعد قليل، تكتشف أن النكات ليست سيئة، ولكن اختيارك للكلمات لم يكن مُوفقاً. فالأفكار جميعها جيدة، ولكن الكلمات المختارة لم تكن مضحكة. وبعد أن تكون قد نظرت إلى التفاصيل، وعرفت أين تكمن المشكلة، فإنك تبدأ بالتفكير في كلمات أكثر طرافة تناسب النكات التي ستلقيها.

تمارين

استخدم طريقة الاختصار أو طريقة التفصيل عند حل التمارين التالية.

- هل يمكن أن تأتي بتصاميم جديدة لصنع الأواني الفخارية؟ ادرس جيداً التصاميم الموجودة في الأسواق وتفاصيلها.
    - مساعدة: ركّز على أنواع المواد المستخدمة وعلى الأشكال والألوان... إلخ.
- هل يمكن أن تأتي بفكرة مشروع تجاري جديد؟ ادرس جيداً تفاصيل العمل اليومية للمشاريع التجارية الأخرى.
- هل يمكن أن تفكر في أماكن جديدة لقضاء الإجازات؟ حاول أن تحيط بكل التفاصيل المرتبطة بتلك الأماكن.
- هل يمكن أن تأتي بأفكار لجعل الناس يُقبلون أكثر على الرياضة؟ لا تنظر إلى المشكلة نظرة عامة، بل ركّز على تفاصيل الحياة اليومية للأشخاص الذين لا يجدون وقتاً للتمرين.
- إن كنت تريد أن تصنع نوعاً جديداً من القماش، فادرس تفاصيل الأقمشة الموجودة حالياً في الأسواق.

الطريقة العشوائية

شرح الطريقة

هـذه الطريقـة تقتضـي الإتيـان بـأي أفكار عشـوائية، وهـي طريقـة مفيـدة لمـن أخفـق أكثـر مـن مـرة، وبـدأ يشـك فـي قدرتـه على الإتيـان بالأفـكار. كذلـك فهـي طريقـة فعالـة لمـن يبحـث عـن أفـكار جديـدة تمامـاً، ولا يهمـه أن تكـون مرتبطـة بمجـال إبداعـه. تحفيـز الذهـن علـى التفكيـر، وإن كان تفكيـراً عشـوائياً، كفيـل بـأن يجعلـك تبـدع. والأفـكار العشـوائية التـي سـتأتي بهـا قـد تكـون أكثـر فائـدة ممـا تظـن، يكفـي أنهـا سـتحفز ذهنـك علـى العمـل.

لا يعلـم كثيـرٌ منـا عـن المواقـع الإلكترونيـة المتخصصـة فـي تقديـم كلمـات وصـور عشـوائية لتساعد علـى الإتيـان بالأفـكار. كل مـا عليـك فعلـه هـو أن تختـار مـن تلـك الكلمـات العشـوائية مـا يناسـبك وتدونهـا عنـدك. وإن خطـرت علـى بالـك أي فكـرة أثنـاء تدوينـك لتلـك الكلمـات، فينبغـي عليـك أن تسـجلها فـوراً، لتسـتفيد منهـا لاحقـاً.

أغلـب الطـرق التـي ذكرتهـا فـي هـذا الكتـاب تسـاعدك علـى أن تأتـي بالأفـكار بنفسـك، دون أي مسـاعدات خارجيـة. ولكـن هـذه الطريقـة تحديـداً مختلفـة، فسـتحتاج عنـد تطبيقهـا إلـى مسـاعدة خارجيـة. وأنـا أرى أنهـا طريقـة فعالـة تسـتحق أن تُدرجهـا مـع الطـرق التـي تنـوي اسـتخدامها لتوليـد الأفـكار. ستشـغل أجهـزة الكمبيوتـر وأجهـزة الـذكاء الاصطناعـي حيـزاً كبيـراً مـن حياتنـا فـي المسـتقبل القريـب، لذلـك مـن الأفضـل أن نسـتخدمها مـن الآن فـي توليـد الأفـكار.

ولكل من لم يقتنع بالطريقة العشوائية، لأنه يظن أنها تعتمد على المواقع الإلكترونية لتفكر نيابةً عنه، أقول: إنه قد أساء فهم ما أقول. فالهدف من هذه الطريقة هو أن تستخدم الكلمات والمفاهيم التي تعطيها لك تلك المواقع، لتصوغ منها ما يلائمك أنت. عندما تُعدل من فكرة موجودة سلفاً لتجعلها مناسبة لك، فهذا لا يعني أنها ليست فكرة مبتكرة.

متى نستخدم الطريقة العشوائية؟

هـذه الطريقـة مفيـدة إن كنـت لا تـدري أي طريـقٍ تسـلك لتبـدع. فهـي ستساعدك إن كنت لا تعلـم مـا الـذي عليـك أن تقـرأه أو تتعلمـه أو مـا الـذي ينبغـي عليـك أن تقـوم بـه لتحـرز التقـدم المنشـود. كذلـك فـلا بـأس فـي أن تجـرب هـذه الطريقـة إن كنـت قـد جربـت الكثيـر غيرهـا دون جـدوى.

الطريقـة العشـوائية هـي لمـن أراد أفكاراً جديـدة وغريبـة، ولكنهـا طريقـة تحتـاج منـك إلـى صبـر؛ لأن الأفكـار الأولـى التـي ستنتـج عنهـا قـد لا تكـون ذات صلـة بمـا تـود إنجـازه.

مثال

أول سؤال قد يتبادر إلى الذهن هو: كيف نأتي بأفكار عشوائية؟ الناس بشكل عام لا يجيدون القيام بهذا الأمر، فهم يفضلون أن تحدد لهم الشيء الذي تريدهم أن يأتوا بأفكار لأجله. على سبيل المثال، إن طلبت من أحدهم أن يعدد لك أسماء عشوائية لفواكه أو حيوانات، فسيفعل ذلك بكل سهولة. أما إن طلبت منه أن يأتي بأفكار عشوائية بصورة عامة، فسيجد نفسه عاجزاً عن ذلك. وإن حدث وجاءك بأفكار، فستلاحظ أنها جميعاً تصب في موضوع واحد. ولكن تطبيق الطريقة العشوائية يقتضي الإتيان بأفكار عشوائية في موضوعات متنوعة قدر الإمكان. لذلك، أقترح عليك ألا تقوم بذلك بنفسك، بل تستعين بأحد المواقع الإلكترونية المتخصصة في هذا الأمر.

على سبيل المثال، باستخدام موقع http://ideagenerator.creativ-itygames.net يمكنك الحصول على كلمات وصور ملهمة. ولقد استخدمت أنا نفسي هذا الموقع، وحصلت على الكلمات العشوائية التالية:

نهر، فضاء، بازلاء، صوف، خاتم، كافيين، كومة قش، عطلة، شامبانيا، طابور، شراع، نحاس، حديقة، تيَّار، أوبرا، نميمة، حمار، فترة فاصلة، خيار، ملف، صالون، برج، فضيحة، رقص، ساحر، مُنظف، حوت، عنوان، كعكة، أحمر شفاه، هيئة محلفين، بلاستيك، زر، صراف، فلفل، هدوء، شرفة، فاصولياء، خطف، غرانيت، قلعة، حشائش، ساعة جيب، مقال، إبريق، شاحنة، نعناع، فيل.

ولأعطيكم مثالاً على كيفية تطبيق الطريقة العشوائية، لنحاول الإتيان بأفكار لتصميم مجموعة ملابس جديدة باستخدام بعض الكلمات العشوائية التي حصلت عليها من الموقع. على سبيل المثال، قد توحي لنا كلمة «نهر» بتصميم فستان فضفاض بدرجات اللون الأزرق. أو قد توحي لنا الكلمة بصنع ملابس من أقمشة مقاومة للماء. وكلمة «بلاستيك» قد تجعلنا نفكر في نقيضها، أي في استخدام مواد صديقة للبيئة في صنع الملابس. أما كلمة «أحمر شفاه»، فقد تجعلنا نفكر في استخدام أقمشة لا تتسخ بسهولة. كذلك فإن كلمة «مُنظف» قد تجعلنا نفكر في صنع ملابس يكون تنظيفها سهلاً وغير معقد.

تمارين

استخدم أحد المواقع الإلكترونية المتخصصة في تقديم الكلمات العشوائية عند حل التمارين التالية. يمكنك استخدام المواقع المذكورة أدنى الصفحة.

- هل يمكن أن تأتي بأفكار لصنع منتج جديد أو تقديم خدمة جديدة؟
- هل يمكن أن تأتي بأفكار لكتابة نص غنائي أو قصيدة؟
- هل يمكن أن تأتي بأفكار لصنع قطعة أثاث متعددة الاستخدامات؟
- هل يمكن أن تأتي بأفكار اسم تجاري جديد وتصمم شعاراً له؟
- هل يمكن أن تأتي بأفكار لإضافة خاصية جديدة إلى الهواتف الذكية؟

المواقع التي يمكن أن تستخدمها:

موقع للكلمات العشوائية:

http://www.textfixer.com/tools.random-words.php

موقع للكلمات والصور العشوائية:

/http://ideagenerator.creativitygames.net

موقع أفكار لكتابة قصة:

http://writers-den.pantomimepony.co.uk/writers-plot-ideas.php

طريقة مقارنة الأنظمة

شرح الطريقة

أيـاً كان نـوع النظـام الـذي تتبعـه فـي مجـال عملـك، فقارنـه بنظـام مـن مجـال آخـر، وإن كان المجـالان مختلفيـن تمامـاً.

ولكـي تسـتطيع مقارنـة نظاميـن مـن مجاليـن مختلفيـن، ينبغـي أن يكـون لديـك حـد أدنـى مـن المعرفـة فـي كلا المجاليـن. اكتسـاب المعرفـة فـي كافـة المجـالات أمـرٌ يسـاعد علـى الإبـداع بشـكل عـام، وعلـى اسـتخدام بعـض طـرق توليـد الأفـكار بشـكل خـاص، كهـذه الطريقـة.

ولأعطيـك فكـرة عـن الأنظمـة وتنوعهـا، خـذ مثـلاً نظـام عمـل السـيارة، أو نظـام جسـم الإنسـان، أو دورة المـاء فـي الطبيعـة، أو دورة المنـاخ، أو حركـة صفائـح القشـرة الأرضيـة، أو طريقـة عمـل الكهربـاء، أو كيفيـة انتقـال موجـات الراديـو فـي الهـواء، أو أنـواع اللوحـات الفنيـة، أو أنـواع الأشـجار، أو نظـام القنـوات المائيـة فـي رومـا القديمـة، أو فنـون القتـال فـي الكاراتيـه، أو أنظمـة السـجون، وغيـر ذلـك كثيـراً.

عندمـا تقـارن الأنظمـة المختلفـة بعضهـا ببعـض، فإنـك ستكتشـف أن بينهـا روابـط لـم تتوقعهـا، ممـا قـد يلهمـك فكـرة هـي غايـة فـي الإبـداع. وليـس عليـك أن تكـون ذا خبـرة فائقـة فـي كل تلـك الأنظمـة، يكفـي أن تعـرف بعضهـا معرفـة كافيـة لتقـوم بهـذه المقارنـة.

متى نستخدم طريقة مقارنة الأنظمة؟

إن لاحظت وجود تشابه بين نظامين مختلفين، فسيكون من المفيد أن تطبق هذه الطريقة لترى إن كنت ستجد نقاط تشابه أخرى. ومن الممتع أن تحاول معرفة سبب وجود هذا التشابه أصلاً.

كذلك فإن الطريقة مفيدة عندما تكون لديك مشكلة ما تواجهها دائماً، ثم تعلم أن نظاماً آخر قام بحلها. حينها سيكون من المفيد أن تدرس الحلول التي جاء بها النظام الآخر.

بصورة عامة، فإن طريقة مقارنة الأنظمة ستساعدك على استيعاب حقيقة أن الأنظمة المختلفة قد توجد بينها أمور مشتركة. كذلك فإنها ستكشف لك أن بعض الأنظمة التي تبدو متشابهة للوهلة الأولى، هي في الحقيقة مختلفة بعضها عن بعض. هذه النتائج غير المتوقعة التي تحصل عليها عند مقارنة الأنظمة هي التي ستحفز لديك التفكير الإبداعي.

مثال

لنفترض أنك صاحب شركة يبحث عن نظام مبدع يعتمده عند تعيين الموظفين. وفي أحد الأيام، تشاهد فيلماً وثائقياً عن أنظمة السجون، فتعرف أنه قبل إطلاق سراح السجين، توجد أمورٌ ينبغي القيام بها. هذه الأمور تشمل التقييمات، وتعهد السجين بعدم تكرار الخطأ، وتلقي العلاج النفسي اللازم، وغيرها من الأمور.

ثم يتضح لك أنك كنت تُعين الموظفين في السابق بناءً على خبرتهم فقط، وليس لأنهم يرغبون في العمل لديك، لذلك فإنهم عادة يقدمون استقالتهم بعد فترة وجيزة من العمل. فتقرر أن تطبق نظام السجون لديك، ولكن بشكل مختلف. فبدلاً من أن تشترط على الموظف أموراً معينة يقوم بها قبل أن تقبل استقالته، تشترط عليه أموراً قبل توظيفه لتضمن استمراره في العمل.

من الشروط التي قد تشترطها على الموظف قراءة كُتيب يشرح طبيعة العمل والأمور التي يتوقعها المدير من الموظف، لكي تتضح الصورة من البداية، فلا يضطر إلى ترك العمل لاحقاً. كذلك فإنه سيتعين على الموظف في عامه الأول أن يعمل تحت إشراف مُدرب لكي يتسلم مهام عمله بالتدريج. ثم تُبين للموظف أن باب التواصل مفتوح دائماً بينك وبينه. هذا التواصل المباشر سيطمئن مخاوفه، وسيضمن الإجابة عن أي تساؤلات قد تكون لديه، لكيلا تتراكم ويصعب حلها.

كل ما قمت به هنا هو أنك أخذت من نظام السجون فكرة تصعيب الأمر على السجين قبل إطلاق سراحه، ولكنك حولتها إلى فكرة تصعيب الأمر على الموظف قبل تعيينه.

تمارين

استخدم طريقة مقارنة الأنظمة عند حل التمارين التالية.

- هل يمكن أن تجد أموراً مشتركة بين دورة الماء في الطبيعة وبين مشكلة لديك تحاول حلها؟
  - مساعدة: دورة الماء في الطبيعة تبدأ بتبخر مياه البحار والأنهار بفعل الحرارة لتتكاثف في الأعلى مكونة الغيوم. ثم تسقط الأمطار من الغيوم لتصب في البحار والأنهار لتتبخر مرة أخرى بفعل الحرارة وهكذا دواليك.
- هل يمكن أن تجد أموراً مشتركة بين نظام جسم الإنسان وبين مشكلة لديك تحاول حلها؟
- هل يمكن أن تجد أموراً مشتركة بين نظام الزراعة وبين مشكلة لديك تحاول حلها؟
- هل يمكن أن تجد أموراً مشتركة بين نظام جهاز الكمبيوتر (أشياء مثل سعة الذاكرة أو سرعة الجهاز) وبين مشكلة لديك تحاول حلها؟
- قم بمقارنة النظام السياسي لبلدك بأنظمة الدول الأخرى.

طريقة توزيع التركيز

شرح الطريقة

أحياناً قد يكون للتركيز العالي نتائجه العكسية. صحيح أن التركيز العالي لأشعة الليزر هو الذي يجعلنا نحصل على النتائج التي نريدها، ولكن الحال ليست هكذا دائماً. فأحياناً تكون في مجال جديد لا تعرفه تماماً، ولا تعرف ما الذي ينبغي التركيز عليه على وجه الدقة. هذا قد يجعلك تصب تركيزك على أمر واحد فقط، فتخسر الجوانب الأخرى التي كان عليك أن تأخذها في الحسبان. إن كنت في مجال جديد عليك، والأمور فيه غير واضحة لك، فعليك أن توزع تركيزك. بدلاً من أن تركز على شيء واحد تظنه هو المهم، امنح ذهنك فرصة التفكير في أشياء أخرى ظننتها أقل أهمية. اجعل ذهنك متيقظاً لأي أمر جديد تصادفه، فهذا الأمر الجديد قد يكون له دور كبير في حل المشكلة التي تواجهها.

عندما تقوم بذلك، ستأخذ في حسبانك كثيراً من الأمور التي قد تبدو ليست ذات أهمية. مربط الفرس هنا كلمة «تبدو»، فهي التي تخدعنا، وتجعلنا نحكم على الأمور من ظاهرها. ولكن ما إن توزع تركيزك حتى تبدأ بإعطاء الأهمية ذاتها لكل الأشياء، صغيرة كانت أم كبيرة. العقلية المبدعة هي التي لديها القدرة على أن تعيد النظر في طريقة تعاملها مع المشكلة التي أمامها. أما الشخص الذي يختار أن يصب تركيزه على شيء واحد فقط، ويتعنت في نظره إلى الأمور، فلن يأتي بأي إبداعٍ يُذكر، بل سيظل عالقاً في مكانه، أو سيتبع طريقاً يقوده إلى الفشل.

قد يكون توزيع التركيز أمراً يصعب على الأشخاص المنظمين الذين اعتادوا التركيز على أهداف محددة وواضحة. وهذه صفة رائعة بلا شك، ولكن علينا أحياناً أن ننحيها جانباً، لنستطيع الإتيان بأفكار مبدعة. وأنا لا أنصحك بأن توزع تركيزك طوال الوقت، هي مجرد وسيلة تستخدمها عند الحاجة، وأنت من يقرر متى عليك أن تستخدمها. على سبيل المثال، أنا لا أستحسن استخدام الطريقة عند التعامل مع المشكلات المباشرة التي يكون حلها واضحاً للجميع. فحينها ستبطئ الطريقة سير العمل وتضايق من يعمل معك على حل المشكلة. هي طريقة لا أنصح بها إلا عند حل المشكلات المرتبطة بالإبداع، أو عند الرغبة في الإتيان بأفكار جديدة.

ولكي توزع تركيزك، اسمح لأفكارك بأن تكون حرة طليقة، وربما غير منطقية، وحاول أن تنتقل بسرعة من فكرة إلى أخرى. ستلاحظ أن الأفكار بدأت تتقافز من حولك بطريقة مثيرة وغير متوقعة. قد تقوم أيضاً بتدوين سلسلة أفكارك على الورق، ابتداءً من الفكرة الأولى وصولاً إلى الأخيرة. تبدأ سلسلة الأفكار بالتكون من أول فكرة تخطر على بالك، والتي تقودك إلى أختها وهكذا. كل فكرة تجعلك تفكر في التي تليها، تفعل ذلك دون أن تركز على موضوع واحد.

متى نستخدم طريقة توزيع التركيز؟

هذه الطريقة مفيدة للشخص الذي صب تركيزه كله على أمر واحد في مشروعه، ولم يحقق التقدم الذي كان ينشده. عندها، ستساعده طريقة توزيع التركيز على التفكير خارج الإطار الذي وضع نفسه فيه.

مثال

لنفترض أنك مسؤول قسم الإعلانات في دار نشر، وطلب منك الناشر أن تأتي بفكرة جديدة ومبتكرة للإعلان عن رواية شخصياتها الرئيسة هي الحيوانات. تشعر بالتوتر من المهمة التي أوكلت إليك، فتقرر الذهاب إلى حديقة قريبة لتتمشى ولتحرر ذهنك من التفكير في الإعلان.

وأثناء المشي، بدلاً من أن تحصر تفكيرك في المشكلة التي لديك، توزع تركيزك على ما حولك من أشياء، أو تفكر في أمور أخرى لا علاقة لها بما ينبغي عليك إنجازه. ومع ذلك، فالمشكلة موجودة في عقلك الباطن تبحث عن حل لها.

في الحديقة، تستمتع بالمناظر التي تراها. فاليوم صحو، والأزهار متفتحة، والناس تلعب وتضحك، والكلاب تلهو على العشب. ثم تلاحظ كلباً يرتدي قميصاً صُمم على مقاسه تماماً، فتتعجب من حب بعض الناس لكلابهم، حتى أنهم يشترون لها الملابس. ثم تمضي في سبيلك. وفجأة تتذكر أن شخصيات الرواية ـ التي يجب أن تقوم بالإعلان عنها ـ هي الكلاب والقطط وغيرها من الحيوانات. فتخطر على بالك فكرة، وهي أن تقوم بتصميم قمصان للكلاب والقطط تحمل صورة غلاف الرواية، ثم تقوم ببيع تلك القمصان أو توزيعها بالمجان كوسيلة للإعلان عن الكتاب. ولأن أصحاب الكلاب يُحضرون كلابهم دائماً إلى الحديقة، سيتسنى لكثيرٍ من الناس رؤية القمصان التي ترتديها تلك الكلاب.

وبذلك تكون قد حللت المشكلة التي كانت تؤرقك، وجئت بفكرة مبتكرة وجديدة للإعلان عن الرواية.

تمارين

استخدم طريقة توزيع التركيز عند حل التمارين التالية. الهدف من هذه التمارين هو أن تتعلم ألا تحصر تفكيرك في المشكلة التي لديك.

- جرب أن تقوم بجلسة تأمل.
- جرب أن تقوم بتمارين التنفس.
- جرب أن تتمشى في مكان هادئ.
- اسمح لعقلك بأن يحلم أحلام يقظة.
- تأمل شيئاً يجعلك تفكر في الماضي ـ كأن تتأمل لوحة، أو تستمع إلى أغنية لها ذكرى في نفسك ـ أو قم بممارسة عمل يذكرك بتجربة مررت بها في الماضي.

وإن كنت تريد تمارين أكثر، ففي نهاية الكتاب أكثر من 100 تمرين لتحفيز الإبداع. أما الفصل التالي، فيتضمن تنبيهات ونصائح أخيرة.

تنبيهات ونصائح أخيرة

إن واجهت صعوبة في تطبيق طرق توليد الأفكار...

بعض ما سأذكره في هذا الفصل هو تلخيص لما ذكرته في الفصول السابقة، وبعضها الآخر أمورٌ أذكرها لأول مرة، ستساعدك على تطبيق طرق توليد الأفكار. فأنا أود أن تستفيد من تلك الطرق، مثلما استفدت أنا منها. ولكي تستخدم الطرق التي سبق شرحها الاستخدام الأمثل، عليك أن تضيف إليها استراتيجيات أخرى معززة للإبداع. النقاط التي سأذكرها نقاط مهمة، ينبغي أن تأخذها في الحسبان.

اكتسب الخبرة اللازمة!

كلما زادت خبرتك، زاد فهمك لطريقة سير الأمور. فمن الضروري أن تفهم مجال عملك فهماً تاماً لكي تضيف إبداعات حقيقية إليه. وليس عليك أن تحوز الخبرة من أطرافها، لكن ينبغي أن تسعى دائماً إلى تعلم ما لا تفهمه. أكثر المبدعين لديهم خبرة معقولة في مجالهم وليسوا ذوي خبرة واسعة بالضرورة.

اكتسب معرفة واسعة!

اكتساب المعرفة في مجالات خارج مجال اختصاصك سيساعدك على الإتيان بأفكار رائعة وجعلها مناسبة لمجال عملك. فالأشخاص الذين لديهم اطلاع على مجالات مختلفة هم غالباً أشخاص مبدعون. تستطيع اكتساب المعرفة من السفر أو القراءة في شتى المجالات أو من

الاختـلاط بأشـخاص ذوي خبـرات وثقافـات مختلفـة. بالطبـع، عليـك أن تركـز علـى مجـال اختصاصـك، ولكـن فـي الوقـت ذاتـه، ضـع فـي حسبانك الأفـكار التـي تحصـل عليهـا مـن مجـالات أخـرى، والتـي قـد تسـتطيع أن تطبقهـا بطريقـة مبدعـة فـي مجـال عملـك.

قَوِّ ذاكرتك!

ترتبـط قـوة الذاكـرة ارتباطـاً كبيـراً بالإبـداع، فـإن كنـت تشـعر بالعجـز عـن الإتيـان بـأي فكـرة، ولـو بسيطة، فسـيكون مـن المفيـد لـك أن تقـوي ذاكرتـك. لا تنسَ أن كثيراً مـن المبدعيـن أبدعـوا لأنهـم تذكـروا أفكاراً كانـوا قـد سـمعوا بهـا فـي الماضـي، فطبقوهـا فيمـا بعـد. التذكـر هـو الخطـوة التـي تسـبق خطـوة الإتيـان بالفكـرة، ثـم ربـط الفكـرة بطريقـة مـا بمجـال عملـك هـو الخطـوة الثالثـة. إن كنـت تريـد أن تقـوي ذاكرتـك، فسـتجد كتبـاً كثيـرة تسـاعدك علـى ذلـك، مـا عليـك إلا أن تبحـث عنهـا.

دَوّن أحلامك!

تدويـن الأحـلام التـي نـود تحقيقهـا سـيذكرنا دائماً بأننـا مبدعـون، حتى إن كنـا لا نشـعر بذلـك أحيانـاً. كذلـك فـإن الأحـلام مـن شـأنها أن تجعلنـا نأتـي بأفكار رائعـة وقيّمـة، قـد نسـتطيع تطبيـق بعـض منهـا فـي مجـال عملنـا. كثير مـن المبدعيـن كانـوا يدونـون أحلامهـم، وهـي طريقـة فعالـة لجعـل الأفـكار تتـوارد عليـك.

لا تُجهد نفسك مع الأفكار العظيمة!

لا تُجهـد نفسـك فـي محاولـة الإتيـان بأفكار عظيمـة. اسـمح لنفسـك بـأن تأتـي بأفـكار عقيمـة لا يمكـن تطبيقهـا، وشـيئاً فشـيئاً سـتخطر علـى بالـك فكـرة عظيمـة جديـرة بالتنفيـذ.

يُحجم كثير من الناس عن الإبداع؛ لأنهم يظنون أنهم لا يستطيعون أن يبدعوا. غير أن من يظن ذلك هو كالذي يظن أنه لا يستطيع أن يحلم، وهذا هراء، فكلنا يحلم ويبدع أثناء نومه. درجة الإبداع تتفاوت من شخص إلى آخر، ولكننا جميعاً بلا استثناء قادرون على أن نبدع.

بادر إلى الإتيان بالأفكار، ولا تخشَ أن تكون أفكارك سخيفة. فهي لن تكون أكثر سخفاً من أحلامك التي تراها في منامك. لقد اعتدنا في المدارس أن يتم تقييمنا وفقاً لمستوى أدائنا، ولكن في أولى خطوات الإبداع، ما يعنينا هو الكم لا الكيف. اسمح للأفكار أن تتوارد عليك، ولا يهمك بعدُ إن كانت أفكاراً عظيمة أو غير عظيمة.

أحط نفسك بالمبدعين!

يستطيع المبدعون أن يأتوا بالفكرة ثم يستخرجوا منها أفكاراً أكثر. فالأفكار المبدعة لها قدرة على التكاثر. وعندما ترى المبدعين أمامك وهم يأتون بالفكرة تلو الفكرة، فإنك ستجد نفسك أيضاً تفكر في اتجاهات مختلفة وتأتي بأفكار جديدة. الإبداع كالفيروس، سرعان ما ينتشر من المبدعين إلى من يحيط بهم.

في أغلب الأحوال، فضول المبدعين هو الذي يقودهم إلى الإبداع. فهم يطرحون أسئلة كثيرة تجعلهم يفكرون في اتجاهات جديدة. على سبيل المثال، قد يسألون سؤالاً مثل: «لم لا نحاول أن نقوم بذلك بطريقة أخرى؟» أو «هل ثمَّة ما يمنع أن نقوم بالعمل على هذا النحو؟»، ولا يسألون هذه الأسئلة إلا بعد أن يكونوا قد طرحوا أسئلة جوهرية في البداية ليستطيعوا فهم المشكلة التي أمامهم فهماً كاملاً.

حَوّل الانتقاد إلى حل!

كثيراً ما نرى منتجاً (أو نجرب خدمة) ثم نقول في أنفسنا: «هذا

المنتج فاشل تماماً، كيف لم يلاحظ أحد وجود هذه العيوب فيه؟ لماذا لا يقوم أحدٌ بتحسينه؟» غير أن الكثير منا يكتفي بالانتقاد ولا يُقدم أي حل يذكر للمشكلة.

لقد تعلمت درساً هاماً من الأعمال التي أبدعتها ومن الوقت الذي قضيته مع المبدعين، وهو أن كل شيء في هذا العالم أخذ نصيبه من الانتقاد، كل شيء. إن أردت أن تتأكد من كلامي، فابحث في الإنترنت عن فيلمك المفضل، واقرأ التعليقات السلبية التي قيلت في حقه. ستفاجأ بأن فيلمك الذي تحبه يكرهه آخرون وينتقدونه بشدة. ولكن كم واحداً من أولئك المنتقدين حقق شيئاً ذا قيمة في الحياة؟

إن الانتقاد ـ في حقيقته ـ أمرٌ طيب، فنحن نحتاج إلى أن نميز الجيد من الرديء، ونعبر عن استيائنا عندما لا نجد ما يرضينا. ولكني سأطلب منك طلباً، وهو أنك إن لاحظت يوماً أنك بدأت تنتقد شيئاً ما، فاستمر في انتقادك حتى تشفي غليلك. وبعد ذلك اسأل نفسك: كيف يمكن أن أصلح الخطأ؟ هل يمكن أن أصنع شيئاً جديداً يحل المشكلة؟ قد تكون لديك أفكار أفضل بكثير مما هو موجود. لا تجعل انتقادك يضيع هدراً، بل افعل شيئاً لتحوله إلى حل ملموس.

في بدايتك، احمِ نفسك من الانتقادات السلبية!

في البداية، عند وضع مشروعك الإبداعي، تجنب الانتقادات السلبية التي قد تجعلك تتقاعس عن المضي في تنفيذ أهدافك. الانتقادات الكثيرة ستجعل حماستك تفتر، لذلك حاول أن تتجنبها تماماً في البداية.

ولكن عندما تتقدم أكثر في مشروعك، وتكون على وشك الانتهاء منه، سيكون من الضروري لك أن تستمع إلى آراء الناس لتضيف تحسينات إلى المشروع، فيظهر في أفضل صورة.

الرغبة في الإبداع ليست كافية لجعلك مبدعاً، استخدم «طرق توليد الأفكار» لتبدع حقاً!

سمعت عن كثيرين يودون أن يبدعوا، ويأتوا بأفكار رائعة، ويحدثوا تغييراً. ولكن الإبداع مثله مثل أي شيء آخر في الحياة، يحتاج إلى مبادرة. كثيرون منا لا يعرفون من أين يبدؤون، ولذلك يظلون عالقين في أماكنهم، ومن ثم يستسلمون. ولقد ألَّفت هذا الكتاب لأساعد أولئك الذين لا يعرفون من أين يبدؤون على وجه الدقة.

وأنا أحث كل من يقرأ هذا الكتاب على استخدام طرق توليد الأفكار ليأتي بالعشرات، بل المئات من الأفكار. من الضروري أن تتخلص أولاً من الأفكار العقيمة، لتصل بعدها إلى الأفكار القابلة للتنفيذ. فالمئة فكرة الأولى التي ستأتي بها قد تكون سيئة، والمئة التي بعدها لا بأس بها، لكن المئة التي تليها ستكون رائعة. خذ بعضاً من تلك الأفكار الرائعة ثم ضع خطة لتحولها إلى حقيقة ملموسة. ومع ذلك، أنصحك - في البداية - بألا تُحمل نفسك ما لا تطيق. ليس مطلوباً منك أن تقدم فكرة عبقرية تُحدث تغييراً. قد تصبح فكرتك عبقرية شيئاً فشيئاً، ولكن في البداية حاول أن تحقق أهدافاً صغيرة. ما يهم هو أن تبدأ بالإتيان بالأفكار - الفكرة تلو الأخرى - ثم تضعها في حيز التنفيذ. وستجد نفسك أحياناً عالقاً في مرحلة تقييم المشروع وأحياناً في مرحلة تنفيذه، وهذا أمر طبيعي. ولكن كلما كان مشروعك أصغر، اجتزت تلك المراحل بسهولة. النجاحات الصغيرة هي التي تجعلك تكبر شيئاً فشيئاً لتحقق أعظم إبداعاتك.

طرق توليد الأفكار هي التي جعلت هذا الكتاب حقيقة ملموسة

وأخيراً، أشعر بأنه يجب عليَّ أن أذكر هذا الأمر في الختام، وهو أن طرق توليد الأفكار هي التي ساعدتني على تأليف هذا الكتاب. ولأن طريقة الحروف الأبجدية هي طريقتي المفضلة، فقد استخدمتها لتعينني على وضع كثير من الطرق التي أدرجتها في الكتاب.

وبرأيي، فإن هذا دليلٌ آخر على فعالية تلك الطرق. ومع ذلك، فإني سأقوم بما يقوم به الكُتَّاب الآخرون، وهو أن أضع هذا الكتاب بين أيديكم، وأترك لكم تجربة ما فيه ومن ثم الحكم عليه. ومن الطبيعي أن تجد أن طريقة من تلك الطرق مفيدة لك أكثر من الطريقة الأخرى. ولكن لو وجد كل شخص طريقتين أو حتى طريقة واحدة يستطيع أن يطبقها في مجاله، فسأكون قد بلغت غايتي. أملي هو أن تجد في هذا الكتاب شيئاً مفيداً تطبقه في حياتك، حتى ولو كان شيئاً واحداً.

شكراً

أشكرك على الوقت الذي قضيته في قراءة هذا الكتاب، وأرجو أن تكون قد استفدت من المعلومات التي ذكرتها فيه. ولكن تذكَّر أن أحد أهم أساسيات التعلم هو تقييد العلم بالعمل، لذلك عليك أن تبدأ فوراً بتطبيق ما تعلمت.

وقبل أن تذهب لشأنك، أود أن أقدم لك هذه الدليل المجاني الذي يضم أهم المواقع التعليمية. كل ما عليك القيام به هو زيارة الموقع أدناه:

http://bit.ly/Robledo

كذلك إن كانت لديك ـ بعد قراءة الكتاب ـ أي أسئلة أو ملاحظات أو تعليقات، فيمكنك مراسلتي على البريد الإلكتروني، وسأرد عليك في أقرب فرصة. أرجو منك فقط أن تضع عنوان الكتاب في خانة العنوان عند مراسلتي، ثم راسلني على العنوان أدناه:

Ic.robledo@mentalmax.net

هل تعلمت شيئاً جديداً بعد قراءة الكتاب؟

إن أعجبك مضمون الكتاب، فأرجو منك كتابة رأيك في موقع أمازون، فهذا يدفعني لأن أقدم المزيد في المستقبل. يكفي أن تكتب سطراً واحداً تُثني فيه على الكتاب.

لتكتب رأيك في الكتاب، تفضل بزيارة الموقع أدناه:

http://hyperurl.co/86ht2a

انضموا إلينا في حساب: Master Your Mind

(على الفيسبوك)

لقد أنشأت هذه الصفحة على الفيسبوك ليتم فيها تبادل الخبرات فيما بيننا. إن كنت تريد أن تتحكم في أفكارك، أو تحسن من مستوى إبداعك، أو تتعلم التركيز، أو لديك أهداف أخرى تود تحقيقها، فإن هذه الصفحة ستفيدك.

للانضمام إلى صفحتنا في الفيسبوك، تفضل بزيارة الموقع أدناه:

http://hyperurl.co/xvbpfc

كتب أخرى للكاتب إسحق روبليدو

The Secret Principles of Genius

The Intellectual Toolkit of Geniuses

The Smart Habit Guide

55 Smart Apps to Level Up Your Brain

No One Ever Taught Me How to Learn

Ready, Set, Change

للمزيد من الكتب، تفضل بزيارة الموقع أدناه:

www.Amazon.com/author/icrobledo

101 تمرين لتحفيز الإبداع

1. كيف تتخيل أن يكون شكل الكائنات الفضائية؟ على ماذا يتغذون؟ هل هم عقلاء؟ فوضويون؟ أذكياء؟ أم مجانين؟
2. حاول أن تجيب عن سؤال طرحته شركة «غوغل» على المتقدمين للعمل لديها. السؤال هو: ما عدد كرات الغولف التي تتسع لها حافلة مدرسية؟
3. حاول أن تكتب أغنية.
4. حاول أن تختار أمراً تقوم به دائماً، ثم قم به بطريقة مختلفة تماماً.
5. حاول أن تتخيل شكل العالم بعد عشرين سنة من الآن.
6. ما الفرق بين الحقيقة والحُلم؟
7. حاول أن تتخيل جماداً من الجمادات وقد دبَّت فيه الحياة.
8. اقرأ قصة من قصص المغامرات المشهورة مثل رحلات جليفر وأليس في بلاد العجائب وسيد الخواتم.
9. اسمح لنفسك بأن تكون فوضوياً أحياناً فقد أثبتت البحوث أن الأشخاص الفوضويين هم الأكثر إبداعاً.
10. حاول أن تتخيل النجوم التي تراها ليلاً على هيئة أشكال أو أشخاص.
11. تجاهل التبرير المنطقي لظاهرة ما، وحاول أن تأتي بتبرير آخر من عندك.
12. عندما تكون في مكان عام مع مجموعة غرباء، حاول أن تتخيل قصة أبطالها هؤلاء الغرباء.
13. جرب أن تقوم بجلسة تأمل.

14. اقرأ كتاباً أو مقالاً في موضوع لم يكن يهمك أن تقرأ فيه من قبل.

15. تعرَّف إلى أشخاص من مجالات مختلفة ومتنوعة.

16. دوِّن أحلامك.

17. جرّب أن تمارس هواية الرسم أو التلوين.

18. حاول أن تخترع لعبة شبيهة بلعبة المونوبولي الشهيرة.

19. حاول أن تؤلف قطعة موسيقية (توجد كثير من التطبيقات الذكية التي قد تساعدك على ذلك).

20. حاول أن تجرب طريقة التداعي الحر للأفكار (Free Association). الطريقة هي أن تقول أول كلمة تخطر على بالك عند سماعك كلمة أخرى. ستجد قائمة كلمات وضعها عالم النفس المعروف سيغموند فرويد، قم بتجربة الطريقة باستخدام تلك الكلمات.

21. تواصل مع الأشخاص المبدعين.

22. اكتب قصة قصيرة أو رواية أو قصيدة.

23. قم بممارسة هواية جديدة.

24. تعرَّف إلى ثقافات الشعوب الأخرى: موسيقاها، فنها، معتقداتها، تقاليدها... إلخ.

25. حاول أن تكتسب معرفة واسعة في مختلف الموضوعات.

26. حاول أن ترتجل قصيدة أو أغنية أو أن ترسم رسمة سريعة. افعل ذلك دون تخطيط مسبق.

27. انضم إلى أحد برامج توست ماستر (Toast Master) الشهيرة وتكلم في موضوعٍ ما أمام الحضور.

28. انضم إلى مجموعة ترتجل التمثيل الدرامي أو الكوميدي.

29. حاول أن تفكر في استخدامات أخرى للأشياء التي نستخدمها كل يوم.

30. اصنع تماثيل صغيرة من الصلصال.

31. لا تنتظر الآخرين كي يسألوا وتجيب، بل بادر أنت واسأل.

32. عَوّد نفسك أخذ وجهات النظر المغايرة في الحسبان.

33. استثمر الوقت الكافي لفهم المشكلة التي تواجهك بدلاً من أن تحلها مباشرة.

34. لا تكرر شعارات بالية طالما سمعها الجميع، بل ائتِ بشيءٍ جديد ليعيرك العالم سمعه.

35. عندما تكون على وشك حل مشكلة مرتبطة بالإبداع، اتركها بلا حل وخذ قسطاً من الراحة. هذا سيجعل عقلك الباطن يفكر في المشكلة بينما تستمتع أنت بلحظة استرخاء.

36. بدلاً من أن تقول: «ولمَ أفعل ذلك؟» قل: «ولمَ لا؟»

37. حاول أن تنظر إلى الأشياء كأنك تبصرها لأول مرة، وكأنك وُلِدت للتو.

38. في الظلام، حاول أن تتخيل وجود أشخاص أو أشياء تتحرك.

39. عند محاولة حل مشكلة ما، حاول أن تطرح أكبر قدر من الأسئلة على نفسك وتجيب عنها. هذا سيجعلك تصل إلى أساس المشكلة ومن ثم تحلها.

40. ابحث لك دائماً عن منافسين، فهذا سيجعلك تحرص على تقديم الأفضل طوال الوقت لتتفوق عليهم.

41. حاول أن تخوض تحدياً، كأن تشارك في مسابقة نانوريمو للكتابة (NaNoWriMo). هذه المسابقة تقوم على كتابة رواية من 50000 كلمة في شهرٍ واحد فقط.

42. تحدث مع أشخاص من كافة أنحاء العالم عبر برنامج سكايب أو غيره من البرامج.

43. العب مع الأطفال من حين إلى حين، فالأطفال مبدعون بالفطرة.

44. فكّر في كلمات عشوائية ثم حاول أن تجد رابطاً يربط بينها.

45. مرّن نفسك على الاندماج في أي بيئة اجتماعية توضع فيها.

46. عُد بفكرك سنواتٍ إلى الخلف وحاول أن تغير (في ذهنك) قراراً اتخذته. ما النتائج التي ستحصل عليها بعد تغيير ذلك القرار؟

47. حاول أن تدرس طريقة تعامل الكائنات الحية مع المشكلات التي تواجهها، كأن تدرس طريقة الطيران عند الطيور، أو السباحة عند الأسماك.

48. تريَّث قبل أن تبحث عن إجابة أي سؤال لديك في «غوغل». حاول أولاً أن تأتي بالإجابة بنفسك.

49. حاول أن تخترع شيئاً. ليس من الضروري أن يكون الاختراع منتجاً، قد يكون خدمة جديدة توفرها للناس.

50. حاول أن تضع خمس أفكار في موضوع معين، كأن تضع أفكاراً لمشروع تجاري جديد أو اختراع جديد أو أفكاراً لقصة قصيرة أو لأسلوب حياة صحي.

51. قم بشيء لا تميل إلى القيام به عادة، كأن تزور مكاناً لا يروق لك، أو تجرب هواية جديدة، أو تخرج بصحبة أناس لا تعرفهم.

52. قم بتحفيز مستوى الإبداع عندك بألا تضع في حسبانك التصرف الملائم أو المقبول في موقف ما، بل تفكر في خيارات أخرى.

53. حاول أن تكتب نصاً فُكاهياً أو قصة فكاهية مصورة (comic strip).

54. احتفل بمناسبة ثقافية لا تعرفها أو اقرأ عنها.

55. تحدَّ نفسك دائماً، كأن تحاول أن تُنهي عملاً ما في وقت أقل من الوقت المحدد له، أو تُنجز أعمالاً أكثر مما اعتدت إنجازه.

56. جرب القيام بألعاب خفة اليد.

57. قم بتفكيك شيءٍ ما وإعادة تركيبه مرة أخرى.

58. تخيل أحداثاً مغايرة لما حدث لك في الماضي، كيف ستكون حياتك اليوم لو حصلت فعلاً تلك الأحداث؟

59. قم بتأليف قطعة موسيقية في ذهنك.

60. فكّر في القيود التي تُقيد بها نفسك وحاول مرة أن تتجاهلها.

61. حاول أن تخترع لعبة جديدة للأطفال، كلعبة الغميضة أو لعبة الكراسي.

62. حاول أن تُبدع قطعة فنية، سواء كانت لوحة أو تمثال أو قطعة من الفخار.

63. استمع إلى أغنية وحاول أن تتخيل مقطعاً مُصوراً مناسباً لها.

64. حاول أن ترتجل قصة أنت وأصحابك، بأن يبدأ أحدكم بقول كلمة ويكمل الآخر بكلمة أخرى وهكذا إلى أن تكتمل لديكم قصة ذات معنى.

65. اجمع بعض أغراضك المنزلية وحاول أن تأتي بأفكار لتضيف تحسينات إليها.

66. اجمع بعض أغراضك التي تستخدمها كل يوم وفكر في طريقة تحولها بها إلى أسلحة.

67. سافر إلى بلد جديد.

68. اعزف على آلة موسيقية.

69. انظر إلى البقع التي على الجدران أو إلى الغيوم في السماء وحاول أن تُكَوّن منها صوراً وأشكالاً (شكل سيارة مثلاً أو طائرة، ..إلخ).

70. حاول أن تستلهم أفكاراً من الروائح.

71. تصرف بعشوائية أحياناً، كأن تقرأ ورقة من كتاب تختاره عشوائياً من المكتبة، أو تسلك طريقاً عشوائياً، أو تتحدث مع شخص تختاره بشكل عشوائي.

72. حاول أن تجد روابط تربط بين الحقائق العلمية في المجالات المختلفة.

73. تعلَّم لغة أجنبية (حتى وإن كانت اللغة الهيروغليفية أو لغة الإشارات أو لغة برايل).

74. حاول أن تراقب حياة مجموعة من الناس أو الحيوانات مراقبة دقيقة وتسجل كل ملاحظاتك (على سبيل المثال: كيف يعيشون؟ وكيف يعامل بعضهم بعضاً؟).

75. إن رأيت شخصين يتحاوران من بعيد، فحاول أن تتخيل الحوار الدائر بينهما.

76. اجلس على كرسي ولا تبرحه حتى تأتي بعشرين فكرة جديدة.

77. قم بتحضير طبق من مكونات تستخدمها لأول مرة، أو استخدم المكونات المعتادة في ابتكار طبق جديد.

78. مارس هواية التلوين (توجد كتب تلوين للكبار أيضاً) أو ارسم رسمة ثم لونها.

79. حاول أن تتذكر هواية كنت تحب ممارستها في طفولتك ومارسها الآن.

80. اطرح 10 أسئلة في موضوع محدد.

81. أحياناً، وأنت تفكر، استخدم لغة أجنبية في التفكير.

82. أطلق لخيالك العنان، كأن تتخيل المكان المثالي الذي تود أن تكون فيه، والصديق المثالي الذي تود أن تصاحبه، والعطلة المثالية التي تحلم بها، والمهنة المثالية في نظرك.

83. حاول رسم شخصية تكون بطل قصة أو فيلم.

84. جرب أن تستخدم أحد برامج الرسم المجانية الموجودة على الإنترنت (مثل برنامج Gimp).

85. إياك أن تضيع وقت فراغك، بل استثمره في الإتيان بالأفكار أو في إبداع شيءٍ ما.

86. اصنع لك عالماً يُلهمك، كأن تملأ غرفتك بأنواع الفنون المختلفة.

87. قبل أن تنام، فكّر في الشيء الذي تريد أن تبدعه. وما إن تستيقظ ابدأ بتنفيذه.

88. جرِّب القيام بتمرين رياضي يستنفد طاقتك كلها. هذا سيساعدك على تصفية ذهنك لتستطيع أن تبدع شيئاً جديداً.

89. خصّص وقتاً من يومك للإبداع. قم بذلك كل يوم.

90. غيّر من روتينك المعتاد، كأن تسلك طريقاً جديداً أثناء ذهابك إلى عملك أو تجرب رياضة جديدة.

91. اقرأ قصة وقبل أن تصل إلى نهايتها أغلقها وحاول تخمين النهاية. هذه الطريقة ممتعة لا سيَّما في القصص البوليسية. يمكنك القيام بالشيء ذاته أثناء مشاهدتك لفيلم.

92. حاول أن تؤلف قصة وأنت تحاول النوم.

93. حاول أن تتخيل الحياة المثالية التي تود أن تعيشها. كيف سيكون برنامجك اليومي؟ أين ستعيش؟ من الأشخاص الذين ستختلط بهم؟

94. عندما تواجهك مشكلة كبيرة حاول أولاً أن تضع 100 طريقة لحلها، بعد ذلك يمكنك البحث عن الحل في «غوغل» أو طلب المساعدة من أصدقائك.

95. حاول أن تتعلم طريقة عمل الأشياء، لا تعتمد على ما تعلمك إياه المدارس فقط، بل استكشف بنفسك طريقة عمل التلفاز أو الكمبيوتر أو السيارة أو الراديو... إلخ.

96. حاول القيام بشيء ما دون أن تعرف كيف سينتهي الأمر. جرب متعة عدم القدرة على التكهن بما ستؤول إليه الأمور.

97. فكّر في شيء تستخدمه كل يوم وحاول صنعه بنفسك، هذا الشيء قد يكون معجون أسنان أو غسول فم أو مسحوق غسيل أو عصيراً أو أي شيء آخر.

98. عند محاولة حل مشكلة مرتبطة بالإبداع، اسأل نفسك: ما الحل الذي سيفكر فيه شخص مختلف عني تماماً في التفكير؟

99. حاول أن تضع مصطلحاً مناسباً لمفهوم جديد. على سبيل المثال، حاول أن تضع ترجمة مناسبة لكلمة «أوبونتو» وهي كلمة من جنوب إفريقيا تعني: «الإيمان بوجود رابط كوني يربط بين الإنسانية جمعاء».

100. جرِّب أن تتيه في مكانٍ ما لتعيش المغامرة.

101. فكر في وجهتي نظر متناقضتين، ثم حاول أن تثبت أن كلتيهما صحيحة.

المترجمة

* **لبنى بورحيمة:** كاتبة ومترجمة إماراتية حاصلة على ماجستير في الترجمة من الجامعة الأمريكية في الشارقة.